

ما وراء الطبيعة

70 الحلقات المنسيّة

د. أحمد خالد توفيق

المقدمة

هذه هى حلقة الرعب السابعة ..

أنا العجوز (رفعت إسماعيل) ، وهذه سلسلة ما وراء الطبيعة ، وأنتم القراء .. جميل .. يمكننا أن نبدأ ..

ماذا ؟.. مقتضب أكثر من اللازم ؟

غريب .. كنت أعتقد أن أسوأ صفحات الكتاب هى الصفحات التى أقف فيها لأتكلم قبل السماح لكم بدخول القصة .. رأيت فى طفولتى مشعوذًا يقف على باب خيمة ملاه ، وهو يعدنا نحن الأطفال بالمرأة الأفعى والفارس مقطوع الرأس وفتاة النار والكهرباء و ... و ... كان يسد الطريق بجسده العملاق ، وأعتقد أنه ظل يتكلم نصف ساعة .. كنا نتحرق شوقًا ونوشك على الجنون ، لكنه لم يصمت قط .. فى النهاية سمح لنا بالدخول .. كان لكلامه الطويل أثر مهم هو أننا لم نحب قط ما قدمه لنا ولم ننبهر به .. لم يقدم لنا طبعًا سوى الألعاب المعتادة السخيفة من عينة الحلقات المتداخلة وأوراق اللعب والكرات التى تخرج من فمه .. لكنه لو طار فى الهواء وخرج الشرر من أذنيه وكمش أحدنا ليضعه فى قبضته ، لما انبهرنا كثيرًا .. لقد أشعل حماسنا إلى درجات غير مسبوقة ؛ لذا بدا أنه ليس بوسعه إطفاء هذا الحماس ..

مهما فعل ..

لهذا أقول إننى لن أتكلم كثيرًا .. سوف نبدأ على الفور ..

كنت قد قدمت فى الكتيب الثلاثين عدة حلقات من البرنامج الإذاعى القديم (بعد منتصف الليل)، الذى كنت ضيفه الدائم عامى 1969 و1970 .. أنتم تعرفونه الآن وتعرفون أن حلقاته اندثرت .. إنه كان يمثل للمستمع العربى فى بداية السبعينات ما تمثله حلقات (منطقة الشفق Twilight Zone) و(مختارات رود سيرلنج Rod Serling) للمشاهد الغربى، وإن اختلف الأمر لأن حلقاتنا كانت تتعامل مع مكالمات المشاهدين الساخنة الحية وليست حلقات مكتوبة سلفًا يؤديها ممثلون محترفون .. أعترف أنها كانت فكرة سابقة لعصرها فى ذلك الوقت قبل أن يبدأ عصر الفضائيات و(مداخلات المشاهدين) .. إلخ .. بثلاثين عامًا.

والسبب هو ذلك الشاب النشط الشبيه بشلال أفكار وحماس لا يهدأ: (شريف السعدنى)، دعك من أنها كانت شجاعة لا ننكرها من الإذاعة أن تسمح للمتصلين بالكلام على الهواء مباشرة مهما قالوا .. فى هذا الزمن لم تكن لدينا تلك التقنية التى تؤخر صوت المتكلم بضع ثوان تسمح بقطع مكالمته - لو خرج عما هو مقبول - قبل أن يصل صوته للمستمعين ..

ومن جديد كان على (شريف) أن يخوض حربًا إدارية مع المسئولين كى يقدم هذا العمل الثورى.

تعرفون أن الكثير من الشكاوى انهال على الإذاعة وقتها لأن البرنامج يخيف الصغار، وأنا لا أفهم من هو الصغير الذى يبقى متيقظًا يستمع للمذياع فى الواحدة صباحًا ؟.. لابد أنه غول صغير مفزع لا يقدر شىء على إخافته .. إنه هو الذى يصنع الرعب ولا يتأثر به ..

المهم أن نفسية الأطفال انتصرت وأوقف البرنامج، وقد فقدت الكثير من حلقاته للأسف .. أعرف يقينًا أن عندى سبعين حلقة منه، لكنى لا أجدها مهما بحثت ومهما نقبت ..

إلا إننى كنت أفتش فى حاجياتى الأسبوع الماضى، حينما وجدت بكرة من شريط تسجيل .. جربتها على جهاز التسجيل العتيق ذى البكرتين الموجود فى مكتبى فسمعت أصواتًا واضحة .. إنه شريط قابل للاستماع إليه .. حلقات كاملة نسيتها تمامًا من (بعد منتصف الليل) لكنها ما زالت عندى ..

هكذا لم أنم ليلتها ولا لمدة أسبوع كامل، وأنا ساهر فى مكتبى أفرغ هذه التسجيلات على الورق، وفى النهاية ظفرت بعدة قصص لا بأس بها ..

هذه إذن هى الحلقات المنسية من (بعد منتصف الليل) ..

إن الجو مألوف لكم وأنتم تعرفون قواعد اللعبة .. هل فهمتم لماذا كنت مقتضبًا ؟

تعالوا نبدأ إذن ..

الصفحات التالية هى تفريغ لحلقات مختارة من البرنامج الإذاعى (بعد منتصف الليل) ، الذى كان يُذاع فى الواحدة صباحًا أسبوعيًا ونال شعبية كبيرة فى عامى 1969 و1970 ، ثم منعت الرقابة إذاعته بسبب تأثيره السلبى على نفسية الأطفال .

مقدمة البرنامج الثابتة :

صوت صرير باب ينفتح ببطء ..

ثم صرخة امرأة ..

بعدها تبدأ موسيقا فاخرة متوجسة

ويدوى صوت المذيع هادرًا بلهجة منذرة :

بعد منتصف الليل

عزيزى المستمع :

هل لديك خبرة معينة بعالم ما وراء الطبيعة ؟.. هل هناك خطر معين يطاردك ؟.. هل ترى أشياء لايمكن تفسيرها ؟.. لاتتردد .. ارفع سماعة الهاتف واطلبنا فورًا .. سنصغى إليك ونحاول حل مشكلتك وإزالة مخاوفك ، مع ضيفنا الدكتور (رفعت إسماعيل) ..

عزيزى المستمع ..

أنت لست وحدك ..!

(تتعالى الموسيقا من جديد ويبدأ ذكر اسم الفنيين)

تقديم : شريف السعدنى

الهندسة الإذاعية : أسامة نجم

إخراج : جلال القصاص

(أخيرًا تخفت الموسيقا وتبدأ الحلقة) ..

بعد منتصف الليل

شريف :

أعزائى المستمعين .. من جديد نلتقى فى الساعات الأولى من صباح الجمعة فى برنامجكم (بعد منتصف الليل) .. كما تعرفون أنتم تتصلون بنا لتحكوا مشاكلكم المتعلقة بعالم ما وراء الطبيعة .. ونحن نستمع ونقترح حلولاً ، ومعنا دائمًا د. (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض الدم بكلية طب (.....) ، والذى قضى حياته يواجه مشاكل من هذا النوع ؛ لذا هو صاحب خبرة عظمى .. د. (رفعت) .. هل يمكن أن تقدم نفسك للسادة المستمعين ؟

رفعت :

هذا طلب غريب يا شريف .. ما داموا هنا فهم يعرفون من أنا ، وإلا لما كانوا هنا .. ظننت هذا واضحًا .. على كل حال أنت قدمت اسمى ومهنتى واهتماماتى .. لم يعد هناك جدوى من إضافة شىء آخر ..

شريف :

هناك دائمًا مرة أولى كما تعرف .. نحن بانتظار مكالماتكم الأولى لتقدم الوقود لآلة الرعب فلا تتوقف ..

رفعت :

كلما سمعت هذه العبارة تذكرت عبارة (إلقاء بعض الجثث للكلاب) !.. إن لها نفس الرنين ..

شريف (حرج واضح) :

نعتذر للسادة المشاهدين ، فهم على كل حال اعتادوا أسلوب د. رفعت الساخر من كل شىء .. إن له طريقة معينة فى السخرية لا تدرك معها أنه يمزح .. هل اكتسبت طريقة السخرية هذه يا د. (رفعت) من تعاملك مع كل الرعب الذى مررت به فى حياتك ؟.. كأنك لو لم تسخر لجننت كما يقول لورد بيرون : أنا أضحك حتى لا أبكى ؟

رفعت :

بل على العكس اكتسبتها من تعاملى مع البشر .. هناك مزية مهمة لدى المسوخ هى أنك لا تشعر معها بالملل أبدًا .. لم ألق قط مومياء تكرر نفسها ، أو مصاص دماء يقول نفس الآراء ، أو مذءوبًا مصرًا على نفس النكات التى يقولها ويكون أول من يضحك عليها .. كل شىء حدث من قبل .. كل كلام قيل من قبل .. لهذا أشعر بأن الناس ضعاف الذاكرة بشكل لا يصدق .. ولهذا لو لم أسخر لجننت .

شريف (فى قلق) :

تأخرت المكالمة الأولى فعلاً .. أعتقد أننا سنستمع إلى أغنية لـ (عبد الحليم حافظ) بانتظار المكالمة الأولى ..

رفعت :

فى كل مرة يحدث هذا .. ننتظر وننتظر ثم تأتى المكالمة ، لكنى فى الحقيقة لا أملك تفاؤلك .. أحيانًا أتخيل الحلقة التى لا تصلنا فيها أية مكالمات فلا يحدث شىء سوى أن أثرثر معك لمدة ساعة ..

شريف :

لعل نشأتى فى حى شعبى علمتنى شيئا من إيمان الحرفيين المطلق بحتمية الرزق .. لا أحد ينام جائعًا .. الله يرزق الجميع ، والطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا ، إذن لن ينتهى البرنامج من دون مكالمات .. والآن تعالوا نستمع إلى الفنان (عبد الحليم حافظ) ..

(تبدأ الأغنية) ..

(صوت رنين الهاتف) ..

شريف :

يبدو أن هذه مكالمتنا الأولى .. آلو .. برنامج (بعد منتصف الليل) .. تفضل ..

صوت شاب :

هل د. (رفعت إسماعيل) هنا ؟

شريف :

فعلاً .. هل لنا أن نعرف من أنت ؟

الشاب :

أنا (ميدو) ..

شريف :

هل هذا اسم مستعار أم اسم تدليل أم هو اسمك فعلاً ؟

الشاب :

لا عليك .. هذه تفاصيل لا تهم .. أنا أمرُّ بظروف نفسية خطيرة .. إن زوجتى تريد أن تأكلنى ..

شريف :

منذ متى ؟.. وكيف عرفت هذا ؟

الشاب :

أنذرنى أحد رفاقى منها .. قال لى إنها تلتهم البشر وإنها تبيت النية لالتهامى ..

شريف :

وكيف عرف صديقك هذا ؟

رفعت (مفكرًا) :

أعتقد أنه .. لا داعى أن ....

الشاب :

عرف ذلك لأنها زوجته ..!

شريف :

هل تقصد أن زوجتك متزوجة من رجلين ؟.. هذه جريمة يعاقب عليها القانون .. إن ..

رفعت :

(شريف) .. دعك منه .. أعتقد كذلك أنك غير متزوج أصلاً أيها الشاب ؟.. أعتقد أنك ساهر مع أربعة من رفاقك وقد قررتم التسلية ... !

الشاب :

أنت مخطئ على طول الخط يا دكتور .. هل تعرف السبب ؟

رفعت :

لا ..

الشاب :

لأننى ساهر مع خمسة من رفاقى لا أربعة !.. هأو أو أو ! (ضحك جماعى ماجن) ..

(يضع السماعة)

رفعت :

توقعت هذا منذ البداية .. أشم رائحة التهريج عندما تلعب برأس الشباب .. تعرف ذلك الظريف الذى يشطب كلمة (عدم) من عبارة (نرجو عدم التدخين) فى الحافلات ، والذى يركب الدراجة ليصفع الناس على أقفيتهم .. إن التهريج له شيطان حقيقى .. هذا الذى يجعل خمسة شبان يتصلون ليتسلوا على حسابنا .. وهذا يعطيك فكرة لا بأس بها عن إحساس الشعوب باحترام الذات .. إحساسها بالمسئولية والفارق بين الجد والهزل ..

شريف :

لربما اعتقدوا أننا ما دمنا نتكلم عن الأشباح فنحن غير جادين ..

رفعت :

كما يقولون : نحن نمزح هنا فلا داعى للتهريج !.. هذا صحيح ودقيق تمامًا .. حتى المرح له قواعده التى تفسد بالتطرف الزائد .. ثم إننا نحاول أن نكون علميين منطقيين ، فلا مجال للمقالب الظريفة هنا .. ما علينا .. يبدو أننا سننتظر مكالمتك هذه من جديد ..

(الأغنية من جديد) ..

شريف :

يبدو أن الانتظار .. **(رنين جرس الهاتف)** .. آلو ؟

صوت رجل :

هالو .. هل د. (رفعت) معك ؟

رفعت :

نعم .. نعم .. هل من مشكلة يا سيدى ؟

الرجل :

اسمى (مسعد أبو الدهب) .. ولدى مشكلة .. هل يمكننى الكلام ؟

شريف :

تفضل .. نحن موجودون هنا من أجلك ..

مسعد :

أعتقد أن زوجتى كانت تريد أن تأكلنى ..!

* * *

الحلقة الأولى

الزوجة تعرف أكثر

* * *

يحكيها (مسعد أبو الدهب)

كدت أدنو لأسألها عما هنالك ، ثم أحجمت عن ذلك .. لقد كان المشهد مهيبًا رهيبًا لا يغرى بأن تجرب حظك وتقترب .. فى هذه اللحظة فقط عرفت أننى لا أعرف الكثير عن (شيرلى) زوجتى الأمريكية ..

رفعت :

هذه مشكلة فريدة من نوعها .. ولسبب ما يتعلق بالحدس أعتقد أنك لا تمزح يا سيدى .. يبدو أن لدينا حشدًا من الرجال توشك زوجاتهم على التهامهم الليلة ..

مسعد :

لا أفهم ما تقول فأنا لا أسمع البرنامج .. أنا أتكلم من مكتبى ..

شريف :

يبدو لى صوتك وقورًا يا سيدى ، فلو اتضح أنك تمزح ....

رفعت :

لا أعتقد .. يا شريف .. ثق بى .. أعرف نبرة الصدق عندما أسمعها كما عرفت نبرة التهريج من قبل .. فقط لنسمع القصة من البداية يا أستاذ مسعد ..

مسعد :

أنا مهندس فى الخمسين من العمر .. قضيت شطرًا لا بأس به من حياتى فى الولايات المتحدة وعدت مؤخرًا .. أصلاً أنا من المنوفية ، وقد ادخر أهلى كل قرش كى يجعلوا منى مهندسًا ، ثم تخرجت فى الكلية وظفرت بتلك البعثة للحصول على الدكتوراه ..

رفعت :

أنت تحكى قصة حياتى بشكل آخر ..

مسعد :

فى ذلك الوقت حدث الخلاف الشهير بين الرئيس عبد الناصر وحكومة الولايات المتحدة ، وتم إلغاء كل البعثات التى تدرس فى الولايات المتحدة ، وتم تحويلها إلى الاتحاد السوفييتى .. يصعب أن تجد دكتوراه من الولايات المتحدة فى تلك السنين ، ولكنى كنت قد تزوجت من فتاة أمريكية لذا تركتها فى الولايات وعدت لمصر حيث قمت ببعثة الاتحاد السوفييتى .. بعد الحصول على الدكتوراه عدت إلى الولايات وعملت هناك ..

رفعت :

كل هذا جميل .. لكنه لا يدل على أن زوجتك تريد التهامك لو أردت رأيى ..

مسعد :

اصبر علىّ قليلاً .. عرفت زوجتى ساقية فى كافتيريا فى كاليفورنيا .. كانت جميلة أو هكذا رأيتها ، وعندما تكلمت معها وجدتها على استعداد لأن تعرف المزيد عن المصرى الأسمر القادم من بلاد التماسيح حيث يركبون الأفيال .. أنت تعرف هذه

الصورة الضبابية لدى الغربيين عن مصر .. جوار وعبيد سود وأفندية بالطرابيش .. هكذا وقعت فى حبى وتزوجنا .. اسمها كان (شيرلى دونر) قبل أن تصير (شيرلى أبو الدهب) كما تنص العادات الأمريكية ، وقد كانت مدرّسة ثم تركت التدريس .. سرعان ما رزقت بطفلين (نانسى) و(محمود) ، وبشكل ما شعرت بأننى غرست جذورى فى ذلك البلد للأبد .. لديك طفلان يتكلمان الإنجليزية ولا يعرفان لهما وطنًا سوى تلك الأرض ..

رفعت :

يبدو من كلامك أنها زوجة طيبة .. ليست من الطراز إياه ..

مسعد :

لقد عرفت طباعى .. على كل حال استمرت حياتنا هادئة .. الآن طفلاى فى سن المراهقة ، وقد خطر لى أن الوقت قد حان لأن يمرا بهذه المرحلة العسيرة فى مصر .. أنت تفهمنى .. لا أريد أن تطالبنى الفتاة بالخروج مع صديقها ، أو أن أجد الولد يدخن الماريجوانا مع رفاقه ..

شريف (فى قلق) :

المشكلة يا سيدى .. المشكلة من فضلك .. ليس البرنامج أبديًا ..

مسعد :

اصبر قليلاً .. يا أخى أنت العربى نافد الصبر ، بينما أنا القادم من بلاد العجلة الدائمة أطالبك بالتمهل ..

شريف :

ربما أنت مصرى أصيل .. والآن أرجو أن تدخل فى الموضوع ..

مسعد :

فى سن الأربعين ، بدأت زوجتى تمر بأعراض عصبية غريبة .. كانت تتشاجر بسهولة وتضرب الطفلين ، ولم تعد تطيق أية كلمة أقولها ..

رفعت :

هذه سن مبكرة بالنسبة لتغيرات سن الإياس الفسيولوجية .. سن الإياس هى سن انقطاع الدورة ، وهنا تلعب الهرمونات ألعابًا شيطانية كما تعرف .. إن بعض النساء يتحولن إلى نمور مفترسة لأن فكرة فقدان الأنوثة تثير جنونهن .. دعك من أن فقدان هرمون الإستروجين كارثة ..

مسعد :

ليس الأمر كذلك .. إنها من أسرة تحتفظ بأنوثتها طويلاً .. أقول إنها صارت عصبية ، وصارت مولعة بأن تعض من يختلف معها !!

رفعت :

تعض ؟!!

مسعد :

نعم . ربما تحسبنى أمزح لكنها الحقيقة .. كانت عندما تضايقها (نانسى) تمسك بمعصمها وتعضه .. عندما ضايقها (محمود) اعتصرت حلمة أذنه بين أنيابها حتى صرخ ألمًا .. دعك من أن شهيتها لأكل اللحوم تزايدت بحق .. كانت تتناول اللحم فى الإفطار والغداء والعشاء .. أصابها هذا بإمساك مزمن عنيف .. رائحة أنفاسها تذكرنى برائحة قفص الأسود فى حديقة الحيوان ..

رفعت :

هذا لا يدل على شىء .. إن اختيارنا لطعامنا يعتمد على حالتنا النفسية بشكل كبير .. دعك من أننى لا أعفيك من المسئولية .. إن الملل وفتور الحياة الزوجية بسبب طول المدة يشعران الزوجة بأنها شىء مهمل فى البيت .. ماذا تفعل ؟.. تخرج عصبيتها على شكل شراهة زائدة ..

مسعد :

ربما .. لكن ليس إلى حد اختفاء القط !

رفعت :

هناك قط مختف كذلك ؟

مسعد :

أنت تعتقد أننى مجنون .. لكنى أؤكد لك أننا كنا فى الولايات واختفى القط الجميل (بتسى) .. بحثنا عنه طويلاً فلم نجده .. هل التهمته الفئران ؟..

رفعت :

هناك ألف سبب لاختفاء قط سوى السبب الذى تحاول إقناعى به ..

مسعد :

على كل حال كان هذا هو الوقت الذى ظهرت فيه (سامانثا) .. كنا نستعد للسفر إلى مصر وقد اعتادت (شرلى) أن تغادر البيت للتسوق وإعداد الأشياء التى ستأخذها معها ، وكنت وحدى فى الدار عندما دق جرس الباب .. فتحته فوجدت سيدة عجوزًا قالت لى إن اسمها (سامانثا بلامر) .. كأن هذا مبرر كاف للسماح لها بالدخول .. قالت لى إنها خبيرة أنساب وإن ما لديها مهم جدًا ولن يستغرق شيئًا من وقتى .. يجب أن تتكلم قبل أن تعود السيدة (أبو الدهب) من الخارج .. سمحت لها بالدخول .. كانت قصيرة القامة نحيلة جدًا فى ثيابها شىء من الخبال .. خطر لى

أنها أقرب إلى ساحرة عجوز أو وسيطة روحانية .. أغرب شىء أنه كانت لها ضفيرة طويلة بيضاء تصل إلى ردفيها .. لمسة طفولية جدًا لا تناسب سنها ..

على كل حال كان كلامها مختصرًا جدًا .. قالت لى إنها تعتقد أن زوجتى من أسرة (دونر) .. قلت لها إن هذا استنتاج عبقرى .. اسم زوجتى كان (شيرلى دونر) فماذا تتوقع ؟..

هنا أخرجت تلك الشمطاء لفافة تبغ أشعلتها وضحكت حتى غلبها السعال ، ثم قالت : هذه حادثة شهيرة جدًا فى التاريخ الأمريكى .. فى العام 1846 كانت الهجرة إلى الغرب فى ذروتها .. ملايين الرواد انطلقوا بعرباتهم نحو الغرب وسط أراض معادية وبيئة قاسية وهنود صمموا على الدفاع عن أرضهم .. من بين هؤلاء كانت جماعة (دونر Donner) التى سافرت فى قافلة تتكون من 87 مهاجرًا متجهين إلى كاليفورنيا .. كانت الطبيعة قاسية معهم وقد حاصرهم الجليد فى أوتاه .. البرد والجوع والخوف .. مات أربعة منهم .. ثم وجد الباقون أن الطعام قد نفد وأن عليهم إذا أرادوا الحياة أن يلتهموا اللحم البشرى .. فى البداية أجروا قرعة لكنهم لم يجدوا الشجاعة لتنفيذ ما أملته هذه .. فكروا فى أكل الأدلة الهنود لكن هؤلاء فضلوا الفرار وسط الثلوج .. هكذا اضطر البؤساء لأكل من ماتوا منهم .. بعضهم فضل الانتحار وبعضهم جن .. وم ينج إلا نصفهم فى يناير 1847 ..

قلت لها : إنها لقصة رهيبة لكنى لا أعرف علاقتها بى ..

قالت : لقد نجا كثيرون من أسرة دونر .. من بين هؤلاء الشقيقتان الطفلتان (جورجيا) و(إليزا دونر) .. لكن القصة الرهيبة اشتهرت فى التاريخ الأمريكى ونسجت حولها أساطير عدة .. أنا مهتمة بهذا الموضوع ويمكننى أن أعرف بالضبط أين ذهب كل واحد من هؤلاء اليوم .. زوجتك الرقيقة واحدة من أحفاد (جورجيا دونر) التى تزوجت ابن عمها ..

قلت لها فى عصبية : وعلام يدل هذا ؟.. البشر يتكاثرون ويتزاوجون وينتشرون فى الأرض .. ربما كنت أنا من أحفاد دراكيولا أو يوليوس قيصر .. فهل يدل هذا على شىء ؟

قالت لى إنها كلما بحثت عن واحد من أحفاد (دونر) وجدت أن شيئًا مريعًا أصابه فى سن الأربعين .. أكثرهم يصاب بانحراف نفسى ويدخل المصحة فى هذه السن ، وبعضهم ينتحر .. لكن هناك أكثر من حالة موثقة من حالات أكل لحم البشر .. هذه هى الحقيقة .. ثمة ميل غير مفهوم لدى أحفاد دونر لأكل اللحم البشرى .. هذا الميل يبدأ فى سن الأربعين .. لا أحد يعرف سبب تحول هؤلاء إلى عشيرة من الغيلان ولا لماذا ورثت هذه الصفة ، لكنها الحقيقة ..

رفعت :

لحظة .. أنت تعرف كما أعرف أن كلام تلك السيدة هراء .. (لامارك) قال إن الصفات المكتسبة تورث ، لكن من قال إن التهام اللحم البشرى لمدة تقل عن عام صفة قابلة للتوريث ؟.. هل دخلت هذه العادة التركيب الجينى لهؤلاء ؟

مسعد :

أنا لست طبيبًا يا د. (رفعت) ولا أفهم حرفًا مما تقول .. فقط أنا أنقل لك بأمانة ما قيل لى وما رأيت ..

شريف :

أرجو أن تكمل ..

مسعد :

سألتنى السيدة عما إذا كنت لاحظت تصرفات غير مفهومة لدى زوجتى ، فقلت لها لا .. قالت إنها تأمل ألا أكون كاذبًا .. كنت عنيفًا غليظ الطبع معها ، وأعتقد أننى كنت أقرب إلى طردها من دارى .. من الصعب أن يتظاهر المرء بالرقة مع امرأة تقول له إن زوجته غول .. قالت لى وهى تهم بالانصراف : فقط أردت أن أنذرك .. عرفت أنك وزوجتك ذاهبان مع الأطفال إلى مصر .. هناك ستجد نفسك بعيدًا عن الولايات وعمن يعرفون ما يجب عمله .. أريد أن تكون حذرًا ..

رفعت :

طبعًا انصرفت تاركة لك تذكارًا مهمًا : القلق ..

مسعد :

سأكون مبالغًا لو قلت هذا .. ما قالته كان كلامًا عامًا لا أهمية له ولا تفوح منه رائحة الصدق .. عادت زوجتى من الخارج بعد قليل فلم أخبرها بحرف عن هذه السامانتا .. فقط أثناء تناول العشاء رحت أوجه أسئلة حذرة عن أسرتها .. قالت لى إنها لا تعرف الكثير عن جدودها .. لقد جاءوا من الشرق فى زمن الهجرة الكبرى ، واستقروا فى أرض كاليفورنيا الخصيبة ..

بعد هذا تركنا الولايات وجئنا إلى مصر ..

رفعت :

هل حدث شىء غريب ؟

مسعد :

بعد زيارة أهلى فى المنوفية ابتعت بيتًا هو أقرب إلى فيلا فى الهرم ، واستقررت فيه ، كما اتخذت لنفسى مكتبًا قريبًا .. كانت هى منبهرة بمصر الفرعونية لا المعاصرة ككل الأجانب .. وقد كونت عدة صداقات والتحق الطفلان بالمدارس هنا .. فى البداية كان كل شىء على ما يرام والحياة هادئة ، وبدا لى أننا نتأقلم بسرعة .. حتى كانت تلك الليلة ..

كنا قد نمنا مبكرًا ، وفى الثالثة صباحًا صحوت من النوم لأن مثانتى توشك على الانفجار .. نهضت فلم أجدها فى الفراش جوارى .. نهضت أبحث عنها فى البيت كله لكن لا أثر لها .. ثم وجدتها .. كنت قد غادرت البيت من الباب الخلفى ، ودرت حوله عبر مساحة خالية فيها رمال رطبة .. هكذا رأيتها من بعيد تقف قرب الباب الأمامى .. وجدتها تقف فى الخارج فى ضوء القمر .. كانت حافية القدمين متصلبة تنظر إلى القمر فى ثبات ..كان ظهرها لى فرأيتها تتحسس رأسها كأن قنبلة توشك على الانفجار فيه ، ثم جثت على ركبتيها وراحت تتلوى وهى تمسك بصدغيها .. كدت أدنو لأسألها عما هنالك ، ثم أحجمت عن ذلك .. لقد كان المشهد مهيبًا رهيبًا لا يغرى بأن تجرب حظك وتقترب .. فى هذه اللحظة فقط عرفت أننى لا أعرف الكثير عن (شيرلى) زوجتى الأمريكية ..

رأيتها تنهض وهى تتشنج .. كل عضلة فى جسدها تتشنج .. ثمة شىء غير بشرى فى هذا المشهد .. ذيل السحلية .. نعم .. ذيل السحلية المبتور .. هل رأيت كيف يتلوى ؟..

ورأيتها تدخل إلى البيت ..هكذا مشيت وراءها خلسة فرأيتها تتجه إلى غرفة النوم .. فتحت فمى لأقول لها إننى هنا ، لكنى توقفت ..

كانت الآن تولينى ظهرها حيث وقفت داخل الغرفة عند رأس الفراش فى الظلام ، وهى تنظر إلى الغطاء المكوم الذى يفترض أننى نائم تحته .. رأيتها تفتح أصابعها وتغلقها كأنها المخالب .. ثم تنحنى فى حذر لتقبض على طرف الغطاء .. وهنا فقط عرفت أنها تزوم كالوحوش .. تزوم ..

فى لحظة انتزعت الغطاء بحركة درامية مفاجئة .. فلم يكن تحته شىء طبعًا .. أقسم أنها أصدرت زئيرًا يعبر عن خيبة الأمل ..

استدارت لكنى كنت قد توقعت هذا ، فهرعت أركض عبر الردهة إلى غرفة الأطفال وقلبى يتواثب فى فمى ..

فى الداخل كانت نانسى ومحمود نائمين .. كل واحد فى فراشه يحتضن دميته المفضلة . لا تنس أنهما لم يجتازا عتبة الطفولة بعد ليصيرا مراهقين بالكامل .. لسبب لا أعرفه دخلتُ الغرفة وأغلقت الباب خلفى بالمزلاج ..

وقفت فى الظلام متلاحق الأنفاس أصغى للصوت فى الخارج .. ثم سمعت اللهاث .. سمعت الفحيح .. رأيت مقبض الباب يتحرك فى محاولة للفتح .. وسمعت صوتها تقول بالأمريكية : هيه .. افتحا أيها الطفلان !.. مامى هنا !.. لماذا أغلقتما الباب ؟

نهض الصغيران ولم يفهما ما يحدث .. نظرا لى فى رعب فاحتضنتهما ..

ماذا أقول وماذا أفعل ؟

بعد قليل توقفت القرعات .. وشعرت بأنها ابتعدت .. فتحت باب الحجرة فى حذر وخرجت .. أين هى ؟!.. وجدتها نائمة تغط فى الفراش وقد بدا كأنها مشت عدة أميال .. فى الصباح لاحظ الأطفال أن قطنا اختفى .. القط الشيرازى الجميل الذى ابتعناه من المعادى قد اختفى ..

رفعت :

قط آخر كالعادة .. تلك الحيوانات البائسة التى تضحى بأنفسها من أجلنا .. يمكن القول إذن أنها أخمدت هذا الجوع الوحشى الحيوانى الذى باغتها ..

مسعد :

لا يمكن فهم الأمور على ضوء آخر .. ثمة نداء سمعته وهى نائمة .. حاولت أن تقاوم .. خرجت إلى الهواء الطلق لكن الأمور ساءت .. الزوج الأحمق لم يكن فى الفراش ، إذن ماذا عن غرفة الأطفال ؟

شريف :

وعلاقتك معها بعد تلك الليلة ؟

مسعد :

لا يمكن القول إنها تغيرت .. فى الصباح بدا لى الأمر سخيفًا .. شعرت بأننى كنت أهلوس لا أكثر ، وقد سألتها عن سبب خروجها فأنكرت فى صدق أنها غادرت فراشها أصلاً .. الأولاد سألوها أسئلة محرجة لكنها أنكرت كل شىء .. فى الواقع بدا لى أننى كنت أحلم .. فقط عندما يأتى الليل تعاودنى تفاصيل المشهد ، وأقول لنفسى إننى أنام وأولادى فى بيت فيه امرأة من أسرة (دونر) .. امرأة يبدو أنها تعانى حنينًا شديدًا لجدودها ومزاجهم فى الأكل .. أحيانًا أشعر بذلك الشعور الغريب بأنها غريبة عنى تمامًا . من جاء بها هنا تحت سقف بيتى ؟

رفعت :

يطلقون على هذا الشعور بالاغتراب اسم Jamais vu .. يمكن القول إنك لا تنام على الإطلاق إذن ..

مسعد :

نعم .. نعم .. أظل مفتوح العينين طيلة الليل وأنهض كل ربع ساعة لألقى نظرة على الأطفال النائمين .. أخفى مدية تحت الوسادة وأصمم على بيع نفسى بثمن باهظ .. اللعينة تنعم بحياتها وتنام فى سلام .. لن تصحو إلا عندما يغلبنى التعب .. وعندها ....

رفعت :

هل فكرت فى احتمالية أن تقوم بتخديركم ؟

مسعد :

نعم .. لهذا لم أكن أتناول أى شىء من يدها قرب المساء .. لا أعتقد أنها ستخدرنا يومًا كاملاً على كل حال ..

رفعت :

لاحظت أنك تستعمل الفعل الماضى على طول الخط .. هل تغيرت الظروف ؟

مسعد :

إلى حد ما ..

رفعت :

أين زوجتك الآن ؟

مسعد :

فى الحمام ..

رفعت :

وأين الأطفال ؟

مسعد :

عند عمتهم فى المنوفية ..

رفعت :

حسن .. أنت تتكلم من المكتب فكيف عرفت أن زوجتك فى الحمام ؟.. لا أعتقد أن العلاقة الروحية بينكما بهذه القوة .. إلا لو كانت قد أخبرتك هاتفيًا ..

مسعد :

دعك من هذه التخمينات .. أردت أن أخبرك أننى وجدت الليلة مظروفًا يحوى بعض الأوراق التى قررت زوجتى أن تخفيها عنى .. إنها مصابة بنوبات صرعية من نوع فريد .. يبدو أنه ما يطلقون عليه الصرع النفسى الحركى .. هناك تقرير من الولايات معها فى حاجياتها ..

رفعت :

هل يفسر هذا تلك التشنجات الغريبة والسلوك العجيب ؟.. أعتقد هذا .. إن الصرع النفسى الحركى يمتاز بسلوكيات غريبة ، وفى الآن ذاته لا يسقط المريض على الأرض ويتشنج كما يعرف الناس عن الصرع ..

مسعد :

ربما .. لكن الأوان قد فات لمعرفة هذا .. أنا كنت مرهقًا بعد سهر طال عدة أيام ، والأطفال لم يكونوا فى الدار .. نمت فى حجرتنا بعض الوقت وكانت هى فى المطبخ .. صحوت من نومى فجأة لأجدها تقف جوار الفراش وهى تتشنج بتلك الطريقة الغريبة .. عيناها جاحظتان والزبد يسيل من شدقيها .. جن جنونى .. لم أعد أطيق هذه الحياة ولا أتحملها .. لقد انهار جهازى العصبى فعلاً .. هكذا مددت يدى تحت الوسادة وأخرجت المدية ، ورحت أغمدها فيها مرارًا وأنا أصرخ : موتى أيتها الشيطانة ..!.. موتى !.. لم أكن أنا من يصرخ ويطعن .. توترى هو الذى كان يفعل .. سقطتْ على الأرض جثة هامدة فجررتها إلى الحمام حيث المغطس .. بدلت ثيابى ثم جريت لأفتح الخزانة التى تحفظ فيها أوراقها الخاصة .. أردت أن أعرف .. كان أول ما وجدته هو تلك التقارير .. زوجتى كانت مريضة جدًا .. زوجتى لم تكن غولاً .. عندما دخلت غرفتى وانتزعت غطاء الفراش وعندما دقت على باب الصغيرين كانت تبحث عن عون بشرى لا أكثر .. فقط تلك الـ (سلامتنا) كهربت حياتى وملأتها ذعرًا ..

شريف :

لكن هناك قطين اختفيا ..

مسعد :

كما قـال د (رفعت) : القطط تختفى لألف سبب غير أن يكون أحدهم قد التهمها ..

رفعت (فى ذهول) :

هل تعنى أنك ؟.. تتكلم معنا بعد أن ..؟

مسعد :

نعم .. أنا قاتل يا سيدى .. لقد انتهى كل شـىء ، لكنـى قررت أن أذهب لمكتبى لتناول آخر قدح قهوة له رائحة الحرية ، سوف أتصل بالشرطة بعد انتهاء مكالمتى هذه لكنى أردت أن أتصل بك أولاً ..

شريف :

لمـاذا ؟.. إن قصتك واضحـة كالشـمس الآن .. أليمـة لكنهـا واضحة .. ما الغامض فيها ؟

مسعد :

ليست هذه القصة سبب اتصالى .. فقـط أردت أن أسأل د. رفعت عن موضوع مطاردة أشباح القتلى لقاتليهم . هل هذا صحيح ؟.. هذا هو سبب المكالمة !

رفعـت :

أحيانًا يحدث هذا وأحيانًا لا يحدث .. هذه هى إجابتى وأرجو أن تكون مرضية لك !.. لكنى سأقدم لك عزاء بسيطًا .. على الأرجح يكون سبب الصرع النفسى الحركى شيئًا ما فـى الفص الصدغى للمخ .. أعتقد أن زوجتك تعانى ورمًا فى هذا الموضع .. لو لم تكـن قد ماتت لأعلن الورم عن نفسه ، وكانت ستموت على الأرجح ..

مسعد :

فى هذا بعض العزاء لرجل فقد زوجته وأسرته ومستقبله فى ليلة واحدة .. شكرًا لكمـا .. سوف أفرغ من لفافة التبغ هذه وأطلب الشرطة ..

(يضع السماعة) ..

شريف :

يا لها من مأساة ..

رفعـت :

هى امرأة فقدت حياتها لأن اسم أسرتها (دونـر) .. علـى المرء ألا يتصرف بشكل غريب عندما يكون من نسل أسرة تـأكل لحوم البشر .. أرجو أن تكون الحلقة القادمة أكثر مرحًا ..

الحلقة الثانية

تحـــت !

يحكيها (كامل)

لا أعـرف إن كـان هـذا كله صحيحًا أم أننى أهذى .. القصة أنهم أحياء وموجودون وعليك أن تتصرف يا دكتور (رفعت) ..

شريف :

هذه حلقة أخـرى من (بعد منتصف الليل) .. قصصكم هى الوقود الذى يشغل آلة الرعب للأبد ، وفى ظنى أن المكالمة الأولى لن تتأخر كثيرًا ..

رفعت :

كلما قلت هذه العبارة تأخرت المكالمة الموعودة .. أقترح أن تصمت ..

شريف :

هل أنت فعلاً متشائم كما يقولون عنك يا د. (رفعت) وكما تحاول إقناعنا ؟

رفعت :

هذه هى فلسفتى .. دائمًا أتوقع الأسوأ وفى كل مرة يتضح أن توقعاتى كانت أسوأ من الحقيقة .. هذا جعل الحياة بالنسبة لى سلسلة من المفاجآت السارة !.. المتفائلون فى رأيى هم أكثر الناس إصابة بخيبة الأمل ، بينما أنا أتوقع مثلاً أن يسقط علينا نيزك فى هذه اللحظة .. لو لم يحدث هذا شعرت بأننى محظوظ وأن الحياة أجمل مما نظن !.. قرأت قصة حياة (ماجلان) فعرفت أنه كان يؤمن بأنه ولد فى برج نحس .. هذا جعلـه شكاكًا أكثر من

اللازم .. أى رحالة سواه كان التفاؤل سيدفعه إلى عدم الاستكشاف داخل اليابسة ، لكن ماجلان بسبب شكه فى حظه توغل أكثر من اللازم ، ووجد مضيق ماجلان ..

شريف :

أى أن التشاؤم نوع خاص جدًا من التفاؤل ..

رفعت :

لا أدرى .. فقط هو طريقة تجعلنى أرى الحياة جميلة !

(يدق جرس الهاتف)

رفعت :

هل ترى ؟.. كنت أتوقع ألا يتصل أحد ..

شريف :

نعم .. نعم .. المهم ألا تكون ربة بيت تطلب من البقال شايًا وكيلوجرامًا من السكر .. آلو .. مساء الخير ..

سيدة :

مساء الخير .. من حسن الحظ أنكم لم تغلقوا بعد .. أنا لن أتعامل معكم ثانية ..

شريف :

هذا غريب .. نحن لم نتعامل بعد يا سيدتى كى تقررى هذا القرار ..

السيدة :

هل أنت (مصطفى) ؟.. قلت لك إننى أريد أن تكون العكاوى بلدية .. وطلبت أن تكون الأقارع (بناتى) ولا تكون منفوخة .. عندما جلب لى الولد هذه الأصناف حسبت أنه أخطأ العنوان .. أعتقد أن المعلم (بيومى) قد انصرف الآن .. سوف تكون لى كلمتان معه صباحًا ..

شريف :

فى الحقيقة يا سيدتى نحن هنا فى برنامج (بعد منتصف الليل) ولم نبع لك أى لحم أو أقارع .. أعتقد أنك أخطأت الرقم مع جزار الحى ..

السيدة :

آه . عدم المؤاخذة .. لكنك تفهم هذا الشعور بالغش .. لو لم أتصل فى ذات الليلة لجننت ولما استطعت النوم لحظة .. لم يعد لدى الناس ضمير ..

(تضع السماعة)

رفعت (يضحك فى استمتاع) :

هناك نقطة إيجابية فى هذا الموقف ..

شريف :

ما هى ؟

رفعت :

إن المشاهدين متأكدون يقينًا من أن مكالمتنا أصلية وليست ملفقة .. هناك من اتهمنا بأنها مكالمات مكتوبة سلفًا يؤديها ممثلون ..

شريف :

أنا حريص على ألا يتم أى نوع من ترشيح المكالمات قبل سماعها .. يمكن التخلص من هذه المضايقات بسهولة لو أن موظفًا أخذ منها بيانًا مختصرًا عن سبب المكالمة قبل تحويلها ، لكنى مصرٌ على ألا يحدث هذا ..

رفعت :

على كل حال العكاوى موضوع محبب للجميع .. لا أحد يتضايق من الكلام عن العكاوى لو أردت رأيى ..

شريف (فى ضجر) :

بصراحة لا أعرف ما هى ولا يهمنى أن أعرف .. أنا بانتظار المكالمة ..

رفعت :

المذيع المحترف لا يعترف أبدًا بأنه يجهل العكاوى .. فى الواقع المذيع المحترف لا يعترف أبدًا بأنه يجهل أى شىء .. العكاوى هى ذيل الذبيحة .. من الممتع دائمًا أن تعدها مع البطاطس فى صينية تدخل الفرن .. غير أن الكولستيرول سوف ..

(رنين الهاتف)

شريف :

آلو .. برنامج بعد منتصف الليل .. نحن بانتظار مشكلتك يا سيدى ..

صوت شاب :

مساء الخير أو صباح الخير .. أنا (كامل) ..

شريف :

على الأرجح هذا اسم مستعار .. لا يهم .. تفضل ..

كامل :

لا أعرف إن كان هذا كله صحيحًا أم أننى أهذى .. القصة أنهم أحياء وموجودون وعليك أن تتصرف يا دكتور (رفعت) ..
(يرتجف صوته منذرًا بالبكاء) ..

رفعت :

أعرف هذه النغمة .. هل أنت متأكد من أنك لا تتعاطى علاجًا يا بنى ؟.. هل ثمة طبيب نفسى يتابعك؟

كامل :

أنت مثل الآخرين .. تتكلم مثلهم .. من الواضح أننى أخطأت بالاتصال بك ..

رفعت :

سامحنى يا بنى .. المرء يسمع الكثير من الهراء ، لكن السمة العامة لهراء هذه الأيام هى نغمة (إنهم يلاحقوننى) .. يطلقون على هذا اسم (البارانويا) .. لابد من وجود (إنهم) فى الموضوع ..

كامل :

على كل حال أنا فعلاً راغب فى أن أتكلم حتى لو لم تصغ .. أنا الآن فى كابينة سنترال عمومية فى مركز .. لا لن أقول .. العامل غاف على المكتب والكابينة مغلقة فلن يسمع أحد ما يقال ..

رفعت :

لكنك تتكلم عبر الراديو .. ولا تسألنى عن رأيى فى السر الذى يقال ليسمعه كل من يملك جهاز مذياع ..

كامل :

لا أحد يهوى برنامجك ممن أعرفهم .. ثم إن المركز فقير جدًا .. لا أعتقد أن هناك أكثر من أربعة أجهزة مذياع ولا يوجد جهاز تلفزيون على ما أعتقد(*) ..

رفعت :

حسن .. واضح أن مشكلتك ملحة .. هل لك أن تبدأ ..

كامل :

قلت لك إنهم هنا .. فى البدء كانت مجرد قصص وكنت أسخر منها .. ثم جاء (صالح) باحتمالاته وتحدياته .. من المصادفة أن يذاع برنامجك فى هذا الوقت بالذات ..

شريف :

(كامل) .. نحن لا نفهم أى شىء ..

(*) لا تنس الزمن الذى تدور فيه الأحداث .

كامل :

حسن .. أنا طالب آداب من قرية (.....) التى تقع ضمن هذا المركز .. أدرس فى القاهرة طبعًا .. (صالح) هو ابن عمى الذى أمضى كل حياته فى القاهرة .. إنه شاب قوى الشخصية والجسد معًا .. ربما قوى العقل كذلك .. باختصار هو قادر على قيادة أية مجموعة يكون فيها ..

لقد عاد (صالح) إلى القرية .. عاد ومعه عشرات القصص عن القاهرة ومغامراته هناك .. كنا نجتمع حوله قرب حقل الذرة ونسمع قصصه التى لا تنتهى .. كان خبيرًا فى شيئين ..

رفعت :

النساء والعفاريت !

كامل :

كيف عرفت ؟

رفعت :

القصة دومًا هكذا .. هناك قصة رائعة ليوسف إدريس تحكى عن شباب التفوا حول خبير منهم مثل هذا .. لكنه كان يحكى عن المنصورة .. وكلفهم هذا رحلة قاسية إلى المدينة التى لم ترحمهم ..

كامل :

عندما كنا نعود إلى الدار كان يحتفظ لى بقسط خاص من القصص لأننى قريبه .. على المرتبة على الأرض كان ينام على ظهره محدقًا فى الظلام ويحكى لى الكثير جدًا .. أحيانًا يتسلل ضوء الفجر الشاحب ليغمرنا ونحن لم ننم بعد ..

قال لى إن مقابر القرية ليست خالية ولا تمتلئ بالعظام النخرة كما أظن .. سألته عما يقصده فالتزم الصمت .. فقط قال إن كل شىء (تحت) .. (تحت) هى الكلمة التى كان يصف بها عالمًا غامضًا تحت الأرض لا أعرف ما هو لكنه مخيف بما يكفى .

لم أفكر فى الأمر جديًا إلى أن اختفى (عبد الستار) .. هذا طفل فى السابعة من أطفال القرية .. فى العادة يُعامل الأطفال هنا كالدجاج .. فى الصباح تطعمهم الأمهات ثم تطلقهم .. يلعبون ويلتقطون رزقهم ، ثم فى المساء تقف كل أم بانتظار عودة دجاجها إلى العشة لتطعمه وتنيمه .. (عبد الستار) لم يعد فى المساء وبحث الجميع عنه .. الأماكن المختارة للعثور على الجثث فى الريف محدودة ومنها (المسقى) ووسط أعواد الذرة وتلك الوحدة خلف الجمعية الزراعية .. لم نجد جثثًا .. جاء من يحقق فى الأمر من المركز ، ولم يتبين شىء وتقرر حفظ القضية ..

نحن قرية وادعة .. كلنا يعرف بعضه .. لا يمكن أن أجد من يصلح لخطف طفل أو قتله .. لكن ابن عمى كان يعرف ..

رفعت :

طبعًا قال : إنهم هؤلاء الذين يقيمون (تحت) ..

كامل :

بالطبع .. قال لى وعينه متسعتان : إنهم هم يا (ناجح) .. أنا أعرف أنهم هم .. الصبى كان يلعب قرب المقابر فأخذوه ..

قال لى إنهم عشيرة أو أسرة تعيش هناك منذ قرون ولها قوانينها الخاصة .. يأكلون ما يجدون وهو كثير فإن لم يظفروا بطعام خرجوا يبحثون عن الأحياء .. منذ زمن لم يمت فى القرية أحد ، لهذا يمكن أن نفهم لماذا اختفى الطفل .. لقد كانت المقابر خاوية لفترة وهذا جعلهم يجوعون ..

لم أصدق حرفًا .. سخرت منه كثيرًا ..

رفعت :

لحظة .. لماذا عرف ابن عمك ما عرف ؟.. ما الذى ميزه عن عجائز القرية مثلاً ؟

كامل :

هو سمع هذه القصة من عمى ـ رحمه الله ـ .. وقد صدقها تمامًا .. كان يرغب فى أن يتخذ مدفنًا جديدًا لعمى ، لكن عمى قال له إن عليه أن يعامله كأى واحد من أبناء القرية .. فليحدث له ما يحدث لهم ..

رفعت :

مفهوم .. وماذا بعد ذلك ؟

كامل :

أعتقد أننى تجاوزت بسخريتى الحد المعقول .. أعتقد أننى جرحت كبرياء ابن عمى .. أعتقد أن الأمر صار أقرب للكرامة لأنه أصر على أن ينزل إلى المقابر بنفسه ليرى ما يحدث (تحت) .. قال لى إنه سيعود بالصبى أو جثته ، ولسوف يخرسنا جميعًا .. حاولت أن أثنيه فقال لى فى سخرية : أنت تخاف مع أنك تؤمن بأنه لا يوجد شىء .. كيف ؟

رفعت :

الإجابة هى فوبيا الموت طبعًا .. كل ما يتصل بالموت رهيب غامض .. القبائل البدائية تحكم على من يلمس ميتًا بأنه تابو Taboo وقد يموت جوعًا لأنه ممنوع من لمس الطعام . لو صح كلام (يانج Jung) فإننا فى لا وعينا الجمعى نفكر كالقبائل البدائية تمامًا ..

كامل :

سأكون شاكرًا لو ادخرت الفلسفة إلى وقت آخر .. ليس هذا وقتها ..

رفعت :

هى ليست فلسفة بل علم أجناس .. على كل حال سأصمت ..

كامل :

كانت ليلة جمعة وقد أعد كشافًا وحبالاً وخنجرًا .. ثم ودعنى .. حتى اللحظة الأخيرة كنت أحسبه يمزح .. لن يفعلها .. لكنه انطلق نحو المقابر بينما بقيت أنا فى الدار أرتجف .. وبالطبع مرت الليلة كلها ولم يعد . فى الصباح جاءت زوجة عمى تسأل إن كان بات عندنا أم لا .. آخر ما سمعته عنه هو أنه شوهد متجهًا للمركز بعد منتصف الليل .. طبعًا أنت تعرف أن هذا كلام خاطئ على الأرجح .. هنا فقط بدأت أشعر بذعر حقيقى .. ماذا حدث ؟.. ماذا رآه ؟

ظللت صامتًا بضعة أيام بينما البحث جار عنه .. فى النهاية لم أعد أتحمل .. أنا أصدق أصدقائه وقريبه .. أنا الوحيد الذى يعرف أين هو ..

قلت لأقاربنا إنه (تحت) .. فضحكوا وسخروا منى .. لم يكن أحد على استعداد لسماع ما أقول .. ولكن .. (فى رعب) .. لحظة ..

(لحظات صمت)

شريف :

(كامل) .. هل ما زلت معنا ؟

رفعت :

اسمه (ناجح) .. لقد تعثَّر لسانه كما يحدث دائمًا .. فى كل مكالمة ينسى المتصل اسمه المستعار فى ثلثها الأخير .. لكن أين هو ؟

كامل (يتنهد) :

لا شىء .. خيل لى أن هناك من يسترق النظر لى عبر زجاج الكابينة .. لا يوجد أحد سوى الموظف النائم وأنا .. المنطقة مهجورة .. إننى متوتر جدًا ..

رفعت :

معك كل الحق .. لكن أكمل القصة ..

كامل :

هكذا قررت أنا بدورى أن أنزل (تحت) لأرى ما يدور هناك ..

شريف :

هذه شجاعة غير مسبوقة ..

كامل :

الشجاعة الحقيقية كانت أن أبقى فى دارى وأتحمل تأنيب الضمير والقلق .. لا .. صدقنى .. لقد اخترت أهون الخطرين .. كان هذا منذ ساعتين ..

رفعت :

هل تعنى أنك عائد من هناك لتوك ؟

كامل :

نعم . ما زال تراب المقابر يلوث ثيابى وشعرى .. لقد تزودت بكشاف وحبال وخنجر .. لا أعرف نفع هذه الأشياء لكنى قدرت أن ابن عمى كان يعرف ما يفعل .. ثم غادرت الدار بعد ما نام الجميع متجهًا إلى المقابر .. كنت أعرف أن هناك مقبرة مفتوحة خالية فيها درجات تقود إلى حوش تحت الأرض .. هذا هو الموضع الذى كان (صالح) يتكلم عنه ..

لا صوت سوى نباح الكلاب من بعيد .. عواء ذئب فى مكان ما .. الظلام .. صراصير الحقل .. استكشفت موضع النزول ثم دسست جسدى وانزلقت إلى أسفل على ضوء الكشاف .. أخيرًا وجدت نفسى فى ذلك الحوش ..

كانت مقبرة حقيقية معدة للاستقبال لكنها كانت خالية ، وكان علىّ أن أزحف على قدمى ويدى كى أبحث فيها ..

شريف :

بينى وبينك .. أنا متوتر أكثر منك .. لابد أنها تجربة مرعبة ..

كامل :

نعم .. لو أننى سمعت صوتًا أو رأيت شيئًا يتحرك لتوقف قلبى ومت .. على أننى وجدت ممرًا ضيقًا يقود إلى قاعة مجاورة .. هكذا زحفت على يدى وركبتى إلى أن وصلت هناك واستكشفت المكان بالكشاف .. فئران كثيرة حمراء العيون كانت تحدق فىّ غير وجلة .. رحت أقذفها بما وجدت من حجارة وشققت طريقى أكثر .. هنا رأيتهم !

رفعت :

ما الذى رأيت بالضبط ؟

كامل :

رأيتهم !.. كانوا أحياء !.. كانوا يزحفون كالديدان .. كانوا يتسلقون الجدران الترابية .. يلبسون مثل البشر .. فقط ثيابهم فى حالة زرية .. أطفأت الكشاف بسرعة حتى لا يروا وهجه ، لكننى أدركت أن هناك ضوءًا أحمر غامضًا يشبه الذى يحمض فيه المصورون الأفلام .. نفس الجو تقريبًا .. وعندما استدار أحدهم نحوى أدركت أنه لا وجه له !.. هناك فجوة كبيرة دامية تحتل موضع وجهه !

كنت قد اكتفيت من الرعب .. عدت أزحف خارجًا من هذه القاعة ، وخرجت من المقبرة ، لكنى رأيتهم فى الظلام يدورون حولها .. يبدو أنهم يخرجون من مخرج آخر .. كانوا يمشون مترنحين كالسكارى وأيديهم مفرودة .. كانوا يقصدوننى ..!.. لاشك فى هذا .. لقد شعروا بى ..

رفعت :

رحت تركض كالمجانين فى الظلام وسط الكلاب المسعورة ..

كامل :

الكلاب المسعورة تبدو شيئًا محببًا فى ظروف كهذه .. هذه أشياء تعرفها وتعرف قواعد لعبها .. أشياء قبيحة تنتمى لعالمك وليست أشياء لا تفسير لها ..

لقد كان (صالح) على حق ، وأعتقد أنه لم يرزق حظى الحسن ..

ركبت جرارًا إلى المركز حيث جهاز الهاتف .. هناك فى قريتنا هاتف واحد موجود لدى العمدة ، وهو معطل منذ فترة .. لا توجد طريقة للذهاب إلى المركز سوى على ظهر جرار .. ربما كنت أتخيل لكنى بالفعل شعرت كأنهم تبعونى إلى هناك ..

لا أعرف من أكلم ولا من أسأل .. فقط تذكرت شيئًا عن برنامجك .. لقد كان صالح يحبه وقد أعطانى رقم الهاتف لأطلبك لو حدث شيء .. هكذا جئت إلى السنترال الوحيد بالمركز .. إن العامل نائم لم أستطع إيقاظه .. هكذا طلبتك بنفسى ..

أنا الآن أطلبك سائلاً النصح .. ماذا أفعل ؟

رفعت :

لماذا لا تعود للقرية و(الصباح رباح) ؟

كامل :

من رابع المستحيلات أن أعود للقرية فى الظلام على ظهر جرار . وأن أمشى وحدى وسط أزقة القرية المظلمة حتى أصل لدارى .. يا أخى لم تعد أعصابى تسمح بذلك .. سأبيت فى المركز .. ربما أبيت على الدكة الخشبية فى هذا السنترال حتى الصباح .. السؤال هو : وماذا بعد ذلك ؟

رفعت :

أعتقد أن عليك أن تكلم كبـار القرية .. لابد أنهم سمعوا شيئًا عن الموضوع ..

كامل :

سوف يتهموننى بالجنون ..

رفعت :

ستجن فعلاً لو قضيت حياتك تدارى هذا السر ..

كامل :

لحظة .. هناك من يتحرك فى السنترال .. هو ليس العامل .. لكن .. لقد أزاح العامل بيده فسقط على الأرض بلا حراك .. العامل لم يكن نائمًا إذن .. إنه ميت !.. ميت منذ دخلت إلى السنترال .. وهذا القادم .. إنه ..

(يصرخ) :

إنه من دون وجه !!.. (رفعت) !.. إنه منهم !.. لقد وجدونى !.. لابد أن (صالح) فعل نفس الشىء عندما لم يستطع أن يبقى فى القرية لحظة أخرى .. حاول الاتصال بشخص يعرفه من نفس السنترال لكنهم قابلوه فى الخارج .. لابد أنهم توقعوا ما سأفعله هذه المرة ، وربما كان أحدهم يتعلق بالجرار الذى جئت به ..!

(صرخة طويلة أليمة .. صوت حشرجة .. الخط ينقطع) :

شريف :

كامل أو ناجح .. ماذا حدث ؟

رفعت :

ناجح .. !

(صمت طويل) :

شريف :

ما رأيك ؟

رفعت :

إما أننا عشنا هواجس حالة بارانويا متقدمة ، وإما أننا عشنا أحداث قصة من أفظع ما مررت به .. هؤلاء الذين يعيشون (تحت) قادرون على الحركة وعلى السفر إلى المركز .. قادرون على أن يحتفظوا بسرهم ويقتلوا من يعرفه ..

شريف :

وإلى أى الرأيين تميل ؟

رفعت :

لا أدرى .. لكنى لم أر مريض بارانويا متماسك المنطق إلى هذا الحد .. أعتقد أنه يمكن تضييق البحث نوعًا .. هناك قرية اختفى فيها طفل يدعى (عبد الستار) - لو كان الاسم صحيحًا - ثم شاب ثم ابن عمه طالب الآداب واسمه بالتأكيد (ناجح) .. لو أمكن تحديد القرية لاستطعنا أن نفتش المقابر بحثًا عن شىء ما (تحت) ..

شريف :

هذا يعنى أنك تبنيت الرأى الثانى : هذا الذى سمعناه حقيقى ..؟

رفعت :

ربما نعم .. ربما لا .. فقط أعرف شيئًا واحدًا : إنها لقصة مخيفة جديرة بأن تذاع فى هذا البرنامج .

* * *

الحلقة الثالثة

مـــرب فاضـــل

يحكيها (مرب فاضل)

لا أعتقد أننا فى سيبريا ، لكن النوّة كانت عنيفة جدًا وقد راحت البناية كلها تهتز من الرعد والريح ، هكذا جلست فى فراشى ورحت أشرب الحلبة الساخنة .. هنا لاحظت أن ضوءًا غريبًا يدخل من أسفل الباب .. أنا أغلقت كل الأنوار .. من أين جاء هذا الضوء ؟

شريف :

كما اعتدنا يمكننا أن نناقش الحلقة السابقة إلى أن تأتينا المكالمة الأولى .. ما رأيك فى قصة الأسبوع الماضى يا د. (رفعت)(*) ؟

رفعت :

تلك الفتاة التى تعيش مع أخيها الصغير ، وتزعم أنها عرفت أنه مات فى حادث أليم منذ ثلاثة أعوام ؟.. تقول إن أحدًا لم يعرف بالحادث سوى سجلات الشرطة ، وأنها لم تعرف بحدوثه إلا بالصدفة .. هذا النوع من القصص صار مملاً ، ولو عددت لك المرات التى قابلت فيها فتاة تكتشف أن أخاها ميت لاحتجت إلى الليل كله ..

شريف :

وماذا يحدث فى كل مرة ؟

رفعت :

هذه من القصص التى تنتهى نهاية ضبابية . لا تعرف أبدًا ما حدث بعدها .. لا تجد دليلاً ملموسًا يريحك ..

(*) آمل ألا ينسى القارئ أننا لا نراعى الدقة فى ترتيب الحلقات ..

شريف (فى غيظ) :

كنت أحسب أن عندك إجابات قاطعة ..

رفعت :

هذا عالم ما وراء الطبيعة يا صاحبى وليس فاتورة البقال .. سوف نموت دون أن نعرف .. سنموت ورأسنا يوشك على الانفجار من فرط علامات الاستفهام .. وعندما نعرف الحقيقة سيكون من المستحيل أن ننتفع بما عرفناه .. لقد رحل القطار وهأنتذا تقف على المحطة وحدك .. تتمنى اللحاق بمن عليه كى تخبرهم بما وجدت .. طبعًا هذا مستحيل .. حتى نفسك الأصلية تشعر بأنها على متن القطار .. لا يمكن أن تخبرها بما عرفت ..

شريف :

هذا يثير الغيظ .. نحن بحاجة إلى من يعرف فعلاً ..

رفعت :

وهذا لا وجود له وعليك أن تقبل .. هناك بعث وحساب ويوم قيامة .. هذا ما نعرفه يقينًا لكن هل هناك أشباح مثلاً ؟.. هل هناك تجسدات ؟.. أحيانًا تكون الإجابة فى رأيى يقينًا (نعم) وأحيانًا تكون (لا) والأغلب أن تكون (لا أدرى) ..

(جرس الهاتف) ..

شريف :

آلـو ..

صوت رجل وقور :

برنامج بعد منتصف الليل ؟

رفعت :

تفضل ..

الرجل :

هل لابد من أذكر اسمى ؟

شريف :

اسمك أو اسم مستعار .. المهم أن نجد من نكلمه ..

الرجل :

ليكن .. أنا مرب فاضل !

رفعت :

هذا غريب .. لا أحد يطلق على نفسه لقب مرب فاضل ما لم يطلق واحد على نفسه اسم (رجل شفاف نقى النفس) .. لكن تفضل أيها المربى الفاضل .. أعتقد أننا عرفنا مهنتك على كل حال .. لا يمكن أن تكون مهندسًا مثلاً ..

الرجل :

أنا لست مهندسًا .. أنا مرب فاضل ..

رفعت :

نعم .. نعم .. ولا يجيد المزاح كذلك .. تفضل ..

الرجل :

أنا مرب فاضل كما قلت لك ، وقد أمضيت حياتى كلها فى تربية النشء .. أنا فى الخامسة والخمسين من عمرى .. لم أتزوج .. فقط قضيت حياتى معلمًا للجغرافيا ثم موجهًا للجغرافيا .. بعد هذا أنشأت مدرستى الخاصة ..

شريف :

هل هى فى القاهرة ؟

الرجل :

لا .. لقد ابتعت قطعة أرض عند أطراف مدينتى ، وقد أنشأت فوقها مدرسة جميلة لا بأس بها أبدًا .. إننى أقبل الصف الابتدائى والإعدادى .. نتائجى مبهرة جدًا ..

شريف :

لا تذكر اسم المدرسة من فضلك وإلا خربت الإدارة المالية بيتنا وطالبتنا بثمن هذا الإعلان غير المدفوع ..

الرجل :

لن أذكره ولكن لأسباب تختلف نوعًا .. على فكرة بما أننى غير متزوج فأنا أقيم بالمدرسة ، والناس فى هذه المنطقة السكنية يعرفون معنى النور فى الطابق الثانى حيث يوجد مكتبى الذى أكلمك منه الآن .. عندى هنا فراش وثلاجة .. لا تلفزيون لأننى أمقت تلك البرامج الرقيعة وعمة (راقية إبراهيم) .. و ...

رفعت :

لحظة من فضلك .. لا أفهم من هى عمة (راقية إبراهيم) وما دورها فى الموضوع ؟.. لا أذكر أى فيلم كانت فيه عمة لـ (راقية إبراهيم) ..

الرجل :

أؤكد لك .. هناك أفلام مليئة بعمات (راقية إبراهيم) .. لم أعد أرى هذا الهراء على كل حال .. عندى كل ما يلزم للإقامة .. أعيش على الطعام الجاهز الذى يأتى به الخفير (بركات) أو هو الطعام تطهوه لى امرأة من عاملات المدرسة فى بيتها وتجلبه معها .. إن طهيها ليس سيئًا لو تغاضينا عن هواية ملء الطعام بشعر رأسها كأنها فهمت معنى (الشعرية) بشكل حرفى خاطئ ..

رفعت :

نحن الآن فى الصيف .. لم لا تبحث عن إجازة فى مكان ما ؟

الرجل :

ليس هناك مكان ما .. العالم ضيق جدًا كسَمِّ الخياط فى رأيى .. أنا أعيش هنا وغالبًا سأموت هنا .. أعرف كل جدار وكل طبقة طلاء ، وكل جزء رطب نبت عليه الطحلب ، وأعرف أسرار كل وصلة كهرباء متوارية ..

رفعت :

ومتى بدأت المشكلة ؟

الرجل :

من قال إن هناك مشكلة ؟

رفعت :

لا أعتقد أنك تتصل لتحكى تاريخك التربوى ..

الرجل :

بالطبع لا .. كنت أقيم فى المدرسة كل ليلة مع الخفير (بركات) . كان يفرش بطانية أمام باب المدرسة فى هذا الحر ، ويدخن الشيشة

ويشرب الشاى .. طبعًا لا أختلط به لكن مودة عميقة صارت تجمعنا بعد كل هذه الأعوام .. اعتبرته أخى بشكل ما وإن كنت لا أصارحه بهذا ، وقد قمت بالحج معه العام الماضى على حسابى !

رفعت :

تؤثر فى فعلاً علاقات صديقى عمر من طبقتين مختلفتين .. هذه أمور تثير شهية أى مؤلف درامى له ذكاء صرصور .. الأكثر إيلامًا هو عندما يموت الأكثر ثراء منهما !

الرجل :

يا أخى (الملافظ سعد) !.. على كل حال أنا أمضى الليل فى مكتبى ، وأحيانًا كان يصعد لى هناك ومعه كوب شاى أسود .. ثم يعود للسهر عند الباب .. أعتقد أنه يدخن أشياء أخرى غير الجوزة لكنى أتساهل على كل حال .. وهو كذلك يجمع سبع صنائع فهو يعرف بعض الشىء عن السباكة والكهرباء وتثبيت البلاط ..

بدأت القصة فى شهر مارس الماضى .. كان هناك خلاف بين صبيين فى المدرسة .. غالبًا هو خلاف على فتاة .. لماذا يختلف الفتية إن لم يكن على فتاة ؟

(أمجد) و(هانى) فى الصف الثالث الإعدادى ..

رفعت :

ألا تجد نضجًا هرمونيًا مبكرًا فى أطفال مدرستك هؤلاء ؟

الرجل :

لا أفهم ما ترمى إليه لكنى أعرف شيئًا واحدًا .. الفتية أوغاد .. قد تختلف معى فى هذه النقطة لكن جميع الفتية أوغاد .. أؤكد لك هذا ..

رفعت :

نعم .. نعم . وأنت مرب فاضل تمقت عمة (راقية إبراهيم) عندما تظهر فى أفلام ..

الرجل :

نعم . نعم .. أعتقد أن الخلاف بين الصبيين كان عميقًا بحق ، لم أتبين حجمه ولا أبعاده إلا عندما وقع (أمجد) من الطابق الثالث فى بئر السلم .. صرخة مدوية طويلة ذات صدى ، فهرعت خارج مكتبى لأجد الكثير من الصراخ والهستيريا .. ووجدت جثة (أمجد) وسط بركة صغيرة من الدماء .. وكان الطلبة فى حالة جنون وذعر .. لقد سقط بينما هم يتدافعون فى الطابق الثالث .. ليس الترابزين منخفضًا ولا هشًا لكنه سقط .. مال فهوى الجزء الأثقل من جسده لأسفل ..

نظرت لأعلى لأرى وجوه الطلبة تطل علىّ من فوق .. الصف الثالث كان خارجًا للفسحة ويبدو أن عادة تدافع الأغنام لعبت دورًا ، لكنى رأيت وجه (هانى) من أسفل .. على وجهه ابتسامة شيطانية مروعة .. أنا متأكد من ذلك .. كان يضحك فى تشفٍ وارتياح ..

رفعت :

ليس كل الناس ملائكة .. هناك أشرار يتشفون فى الآخرين لكن هذا لا يعنى أنهم قتلة ..

الرجل :

ربما .. على كل حال قد اعتقدت ما اعتقدته أنت ، وقضيت أيامًا سودًا فى الإدارة أبرهن على أن المدرسة مأمونة ، وأن الفتى لم يمت نتيجة إهمال .. الآباء لا يبعثون أبناءهم للموت فى المدارس .. على كل حال أجريت تحقيقاتى الخاصة وتأكدت من أن (هانى) لم يدفع صديقه .. هذا ما قاله الزملاء ..

رفعت :

ولم تصدق حرفًا ..

الرجل :

إلى حد ما .. نعم .. وظللت أشك فى الأمر إلى أن جاءت ليلة مظلمة عاصفة من شهر أبريل .. لاحظ الخفير أن أضواء المختبر مضاءة .. هكذا صعد ليغلقها .. فعل ذلك وعاد ليستقر فى غرفته مدثرًا بالبطاطين .. لا أعتقد أننا فى سيبريا ، لكن النوة كانت عنيفة جدًا وقد راحت البناية كلها تهتز من الرعد والريح ، هكذا جلست فى فراشى ورحت أشرب الحلبة الساخنة .. هنا لاحظت أن ضوءًا غريبًا يدخل من أسفل الباب .. أنا أغلقت كل الأنوار .. من أين جاء هذا الضوء ؟

فتحت الباب فوجدت أن الردهة كلها مضاءة .. لابد أن الخفير هو من فعل هذا .. فى اللحظة التالية دوت صرخة مريعة ولمحت جسدًا يهوى من حالق فى بئر السلم .. يمر بى ثم يهوى .. لكن فترة عشر الثانية كانت كافية كى أعرف أنه هانى ..

هرعت للطابق السفلى وناديت الخفير .. كان الفتى فى ذات موضع هلاك صاحبه ، وفى ذات الوضع .. فقط كان شعره معجونًا بالدم والماء وثيابه كلها مبللة ..

من أتى به هنا ؟.. لماذا جاء ليلاً ؟.. كيف سقط ؟

أهل الفتى قالوا إنه خرج من البيت ركضًا تحت العاصفة ولا أحد يعرف لماذا فعل ذلك .. رجال الشرطة رأوا أن ضميره عذبه

فقرر أن ينهى حياته بنفس طريقة وفاة صاحبه .. هذا الانتحار اعتراف كامل إذن .. طلبة المدرسة كلهم آمنوا أن أمجد عاد لينتقم وهو قد استدرج صاحبه إلى ذات المكان ليلاً ..

رفعت :

أعتقد أن النظريتين مغريتان .

الرجل :

على كل حال آذانى هذا بشدة ، ولا شك أن معدلات الالتحاق بالمدرسة فى العام القادم سوف تتأثر كثيرًا ..

رفعت :

أعتقد أن المشكلة انتهت عند هذا الحد ..

الرجل :

لا .. لقد بدأت إجازة الصيف وبدأت أعيش وحدى .. تكررت ظاهرة الأضواء التى تشعل نفسها مرارًا .. ثم جاء اليوم الذى حدث هذا منذ ثلاثة أيام ..

رفعت :

ماذا ؟.. هل مات الخفير ؟

الرجل :

نعم .. (بركات) قد مات .. كان قد قضى النهار يعمل فى الطابق السفلى ، قائمًا بلصق بعض البلاط المهشم من أثر سقطة الولدين .. إنه يقوم بهذه الأعمال من حين لآخر مقابل مال ، ثم ترك حاجيات العمل من (غَلَق) وبقايا أسمنت وبلاط متبق .. عندما سمعت الصرخة رأيت أن جسده قد هوى فى ذات الموضع ومن على نفس الارتفاع .. سقط وسط الأسمنت والبلاط المهشم .. هل عندك سبب لانتحار خفير مسن رب أسرة وقد قام بالحج منذ عام ؟

رفعت :

لا .. حادث أو قتل .. لا يوجد تفسير آخر ..

الرجل :

أعترف أننى تشاجرت معه .. أثرت غضبه بحق ، وهددته بالطرد .. هذه أشياء لا تقال ، لكنها حدثت .. لا أعتقد أنه يمكن أن ينتحر لهذا .. لطالما تكرر هذا الموقف ..

رفعت :

بينى وبينك .. أنا الآن أعتقد أنه لا توجد أشباح .. هناك طاقة نفسية شريرة كاسحة فى المدرسة ذاتها .. لو فسرت الأشباح موت الصبيين فلا يمكن أن تفسر موت الرجل .. هذا يدل على أن شبح أمجد برىء !

الرجـل :

طاقة نفسية ؟.. وما مصدرها ؟

رفعت :

فى العادة تكتشف أن هذه المدرسة أقيمت على بقايا مقبرة .. ربما كانت أرضك هذه مقبرة منـذ مائتى عـام .. اللعنات من هـذا الطراز تُبعث عنـدما ترتوى أرض المقبـرة بالـدم .. لقد نـزف (أمجد) هناك أول مرة ، وهكذا بدأ كل شىء ..

الرجل (فى قلق) :

إحم .. ولماذا هانى ؟.. ولماذا الخفير ؟

رفعـت :

أعتقد أن (هانى) كان يعانى عقدة ذنب هائلة .. لا أعرف إن كان تعمد الحـادث أم لا ، لكنـه كـان يتعذب .. وقد شعر الشىء الذى يخيم على المدرسة بهذا .. شعر بهشاشته النفسية وقرر أن يستدرجه فى الليل أثناء العاصفة .. أما الخفير فأمره سهل ..

الرجـل :

ماذا تعنى ؟

رفعـت :

لقد كان يقوم بترميم البلاط .. (أمجد) سقط فى ذات الموضـع وتسرب دمه عبر الشقوق .. معنى هذا أن البـلاط غير محكـم .. الأرضـية تقـود لشىء ما ، والكيـان الـذى يسيطر على المدرسـة أو المدرسة نفسها لا يريدان اكتشاف هذا الشىء .. يمكـن تخيل أن الخفير كـان منهمكـًا فـى العمـل .. فجـأة فقد صوابـه .. تـرك ما يقوم به وركض إلى الطابق الثالث ووثب ..

الرجـل :

هذا مقلق .. وماذا تعتقد أنه موجود تحت الأرض فى البهو؟

رفعـت :

لو أعرف لقلـت لـك .. أعتقـد أن عليك أن تقوم بالاستكشـاف صباحًا مع بعض العمـال ..

الرجـل :

هل تريد رأيى ؟..

رفعـت :

لا .. لا أريد رأيك ..

الرجل :

أنا مرب فاضل .. لن أجبن أمام خرافات العجائز هذه ، وسأقدم القدوة للأجيال القادمة .. سوف أنزل وأرى ما هنالك بنفسى .. لقد أزال (بركات) ـ يرحمه الله ـ الكثير من البلاط فعلاً ، فلن أحتاج إلا إلى بعض ضربات بالعتلة ..

رفعت :

سيدى .. هذه بطولة لا داعى لها .. فكر فى سنك ومركزك .. يستطيع رجلان أن يتما هذه المهمة فى دقائق صباح الغد ..

الرجل :

لا .. هذه مدرستى .. هذا بيتى .. سوف أنزل الآن ومعى الكشاف وأعرف سر هذه اللعنة ، وأقول لك إننى لن أجد شيئًا ..

شريف :

فعلاً يا سيدى هذا حماس لا داعى له .. دعك من أن الظلام دامس .. لو هويت وحطمت رقبتك فلن نعرف إن كان هذا بسبب المدرسة أم بسبب ..

الرجل :

سوف أفعل .. وبعدها سوف أتصل بكما .. سلام ..

(يضع السماعة)

رفعت :

هذا رجل شجاع آخر .. أعرف هذا النمط متصلب الشرايين الذى يؤمن أن الفتية أوغاد وأن الأفلام تعج بعمات (راقية إبراهيم) .. إنه لا يغير رأيه أبدًا .. لكننا لن نعرف ما حدث له لأن وقت البرنامج انتهى ..

شريف :

ربما يتصل الأسبوع القادم ..

رفعت :

لا أظن .. كل هذا التوتر والذعر والأدرينالين .. لو أن فأرًا وثب على قدمه لمات .. أعتقد أن أسباب وفاته أكثر من أسباب نجاته .. ولو مات فلن نعرف لأن احتمال النوبة القلبية وارد .. رجل مسن وحيد فى مدرسة مظلمة واسعة مات فيها ثلاثة .. ليست هذه هى الطريقة المثلى لقضاء أمسية صيفية ..

شريف :

وكيف نعرف ما وجده ؟

رفعت :

على الأرجح لن نعرف إلا لو اتصل بنا مرة أخرى .. قلت لك إنه لا إجابات .. هناك الكثير من الرعب والتوجس والحيرة .. لا تنكر هذا .. ماذا سيجده فى الحفرة ؟.. هذا سؤال يتسع لكل شىء .. كل شىء !

* * *

الحلقة الرابعة

نوبتجية

يحكيها د. (مراد)

لا تقل لى إنك مذعور .. لا تكن كالذى يرسم الوحش ثم يموت خوفًا من الصورة .. أو الذى يلبس قناعًا مرعبًا ثم يملأ الدنيا صراخًا عندما يرى وجهه فى المرآة ..

شريف :

ها نحن أولاء مع حلقة جديدة من (بعد منتصف الليل) .. فى الأسبوع الماضى إستمعنا إلى السيدة التى وجدت رقعة فراء غريبة على ساقها .. الأشخاص العاديون سوف ينصحونها برؤية طبيب تجميل .. د. (رفعت إسماعيل) رأى أن هذه علامات التحول إلى الجانجريل Gangrel .. وهو موديل من موديلات مصاصى الدماء .. هذه أمور مسلية كما تلاحظون .. على كل حال نحن بانتظار حكاياتكم التى هى الوقود لآلة الرعب فلا تتوقف أبدًا ..

رفعت :

تصور أنك أوصلتنى بتكرار هذه العبارة إلى حالة من الاستسلام المطلق فالاستمتاع .. ثمة قصة يحكيها (مارك توين) عندما حكى للمجتمعين فى قاعة من قاعات مدينته قصة سخيفة مملة .. عندما لم يضحك أحد حكى القصة ثانية والعرق يتفصد منه . بدأت الضحكات ترتفع .. حكاها مرة ثالثة فانفجر الجميع يضحكون ..!.. الإصرار على الملل يصير جذابًا مع الوقت ..

شريف :

لا أعتقد أننى مصرٌ على الملل ، فقط هى ديباجة احترافية لابد أن تقال لأنها علامة على البرنامج .. هذه هى خصائص العمل الإعلامى ..

رفعت :

وأنا لا أفهم الإعلام لذا لابد أن أصمت .. بينى وبينك صار موضوع التخصص يجعلنا عاجزين عن إبداء الرأى فى أى شىء .. ترى لوحة فتشعر أن من رسمها فأر سقط فى دلو طلاء ، لكنك تفتح فمك فيقولون لك إن عليك أن تخرس لأنك غير دارس أكاديميًا .. تقرأ قصيدة تحكى عن الذبابة التى سقطت فى طبق عسل ، مما أدى إلى أن تصاب السلحفاة بسرطان المستقيم .. توشك على أن تقول إن هذا كلام فارغ فيقولون لك إنك غير مؤهل لتحليل النص .. الآن أتهمك بالتكرار فتقول إننى لست إعلاميًا ..

شريف (فى غيظ مكتوم) :

المستمعون قد اعتادوا د. رفعت على كل حال ، لهذا لن نعلق ..

رفعت :

على كل حال نحن بانتظار وقودك هذا ..

شريف :

نعم . نعم ..

(رنين الهاتف)

آلو .. برنامج (بعد منتصف الليل) .. تفضل ..

صوت شاب :

مساء الخير .. أنا د. (مراد) .. هذا ليس اسمى الحقيقى على فكرة .. هل د. رفعت هنا ؟

رفعت :

بالتأكيد .. أتمنى أن أتلقى مكالمة واحدة من دون هذا السؤال .. هل سبق أن اتصل بى أحد وكنت فى الحمام ؟

مراد :

لا شىء .. هو مجرد تصرف تلقائى .. غريزى .. أنا طبيب مقيم فى مستشفى (....) وأنا ساهر الآن فى العيادة الخارجية لأننى نوبتجى .. لكن الجو هادئ فقررت أن أتصل بك ..

رفعت :

أرجو ألا تكون التسلية هى السبب الوحيد ..

مراد :

لا . هناك قصة تحتاج إلى رأيك .. على كل حال الجو هادئ تمامًا .. الممرضات نائمات فى مكان ما ، وهذا يعنى أن على أن أعمل وحدى لأن البحث عنهن يعنى أن أدخل حجرة مظلمة ، فأكتشف أنهن نائمات فيها ويملأن الدنيا صراخًا .. عندما تنام الممرضات فمن الأفضل أن تعتبر نفسك وحيدًا وتتصرف على هذا الأساس ..

رفعت :

مفهوم .. مفهوم .. أنت الآن وحيد تمسك بالهاتف وتتسلى .. هل يمكن أن تبدأ السرد ؟

مراد :

نحن هنا مجموعة من الأطباء المقيمين الشباب .. بيننا من هو يقظ الضمير يعرف واجبه حقًا ..

رفعت (نافد الصبر) :

مثلك طبعًا ..

مراد :

نعم .. وبيننا من هو مستهتر قاس .. د . (جودت) كان من هذا الطراز .. إنه وسيم لكنها وسامة الشيطان .. ملامح قاسية باردة تدل على أنه يستمتع بآلام الآخرين .. ثرى جدًا ولا يحتاج لهذه المهنة ؛ لذا هو يمقتها ويشمئز من المرضى المجانين ..

رفعت :

أحيانًا يدفعك الثراء للعناية بالطب أكثر .. (هالستد Halsted) الجراح العظيم كان ثريًا متأنقًا لدرجة أنه كان يكوى قمصانه فى الخارج !.. وكان يؤمن أن الطبيب يجب أن يكون ثريًا من الأصل حتى لا يشغل وقته فى الجرى وراء المال .

مـراد :

الآراء تختلف .. هناك من يرى أن الفقر يولد الرحمة فى النفس . ما علينا .. لم يكن (جودت) شريرًا لأنه ثرى .. كان شريرًا لأنه شرير .. وغد فى كل شىء .. مع الفتيات هو وغد يتسلى .. فكم من فتاة حطّم قلبها .. مع المرضى هو وغد يستمتع بسماع أنينهم ودعواتهم عليه ..

لم يكن يتواجد فى أية نوبتجية .. الأطباء الذين يهربون من النوبتجيات عندنا يفعلون هذا بداعى الفقر .. يحاولون جمع بعض المال فى ذات الوقت .. لكنه كان يفر من النوبتجية ليقابل فتاة ما يخدعها طبعًا .. فإذا سألت عنه قالت الممرضات بارتباك إنه (فى بنك الدم) .. طيلة حياته فى بنك الدم كأنه موظف هناك ، والغريب أن الأحمق غير مبتكر .. حيلة بنك الدم هذه نسمعها منذ كنا فى المهد وهو عاجز عن ابتكار عذر آخر ..

ثم جاءت القصة إياها ..

شريف :

جميل ..

مـراد :

لم أرها لكنى سمعت القصة من المرضى والممرضات اللاتى شعرن بأن الصمت خطير هذه المرة .. هذه المرأة التعسة تدعى (نجاة أبو مندور) .. هذا هو الاسم الحقيقى الوحيد فى هذه القصة ، والسبب هو أنى أريد أن يبقى اسمها إدانة دائمة للغباء والانحطاط والظلم البشرى .. هى نموذج الفلاحة القادمة من أحراش الريف لتضيع فى أحراش المدينة ، يبدو أنها من الطراز الذى جاء العالم كى يتعذب ويُهمل ويموت .. لقد طلقها زوجها وتخلى عنها أولادها وهى تعانى منذ عشر سنوات للحصول على معاش ، ثم أصيبت بسرطان الدم وجاءت تطلب العلاج فأوقعها حظها الأسود فى نوبتّجية الدكتور (جودت) لتكتمل المأساة الإغريقية .. لم أر ما حدث لكنى أتصوره .. لابد أنه كان يداعب شاربه الرفيع الأنيق .. ربما كان يلقى بكلمات غزل على ممرضة ما .. لابد أنه لاحظ شحوب المرأة فطلب من الممرضة أن تنقل لها وحدة من الدم ، ثم انصرف ليلبى أحد المواعيد الغامضة التى لا يعرف إلا الله كنهها والتى تتم دومًا فى المقطم .. إما أنه ذو اهتمامات شديدة بعلم الجيولوجيا وإما إنه .... ما علينا ..

لحظة يا حاجة .. أرجو أن تجلسى إلى أن أنهى هذه المكالمة .

معذرة يا دكتور رفعت لكن هناك مريضة دخلت الاستقبال عندى الآن .. بالطبع وحدها بلا ممرضة ولا مرافق ..

رفعت :

يمكنك أن تفحصها وتتصل بنا ثانية .. لا نريد أن نعطلك عن مريض بينما أنت ما زلت تتكلم عن انعدام ضمير صاحبك ..

مراد :

لو قطعت المكالمة لفشلت فى طلبكم ثانية .. على كل حال لا يبدو أنها فى خطر داهم .. ثلاث دقائق فقط أحكى فيها قصتى ..

أين كنا ؟.. آه ..

أعرف أن (نجاة) تمددت فى الفراش لاهثة مستسلمة كأنما تعرف أنها تتلقى آخر شكة إبرة فى حياتها .. لابد أن الممرضة قامت بتثبيت قناة وريدية غليظة فى ذراع المريضة ، ونجاة تتلقى الألم الحارق فى ذراعها شاكرة .. فعلى الأقل لم يجلدوها بالسياط كما كانت تتوقع ، وقد كانت هذه المرأة تعتبر أن المعاملة الممتازة هى ألا تضرب بالأحذية أو تجلد بالسياط .. علمتها الحياة ذلك .. كيس الدم الأحمر علق هناك جوار الفراش وبدأ سائل الحياة يتسرب إلى عروقها .. أعرف أن الممرضة انصرفت لتناول العشاء ، وأن العنبر كان خاليًا إلا من مريضة غيبوبة لا تفقه شيئًا .. لابد أن (نجاة) حركت ذراعها ففكت الخرطوم البلاستيكى .. هكذا بدأ النزف من جهتين : الدم يسيل من الخرطوم المتدلى ، ويسيل من القناة الوريدية المثبت فى ذراع المريضة ..

لابد أن المأساة استغرقت نصف ساعة .. لقد فرغت الممرضة من العشاء وعادت للعنبر لتجد بركة دم وقد فرغ الكيسان : الكيس البلاستيكى والكيس الحى .. وبالطبع كانت (نجاة) قد أسلمت الروح ففقر دمها لم يكن ليتحمل مزيدًا من النزف .. كانت قد فهمت ما يحدث وتلوت كثيرًا جدًا وهى تحاول النهوض من الفراش .. تحاول انتزاع القناة الوريدية من ذراعها .. لابد أنها تألمت لأنهم قالوا إن علامات الرعب والذعر ارتسمت على وجهها ..

رفعت :

هذه كارثة .. تتكرر كثيرًا لكن هناك من ينقذ الموقف دومًا ..

مراد :

لم يكن هذا الـ (من) موجودًا هنا .. أعرف أن تحقيقًا جرى ، وأن (جودت) خرج من الموضوع كالشعرة من العجين .. الوغد المحظوظ .. فى كل مرة يخرج كالشعرة من العجين برغم أنه المسئول الأول عما حدث .. أعرف أنه اتهم الممرضة بكل شىء وأن بيتها خرب على الأرجح .. أعرف أنه أحضر أوراقًا من كل جهة تثبت أنه كان فى المستشفى وقت وفاتها .. أعرف أن خاله ذا النفوذ قابل مدير المستشفى وأمضيا ساعة معًا بعدها خرج المدير راضيًا وهو يدس كارتًا فى جيبه ، ويبدو أن (جودت) تلقى عقابًا من طراز (إخص عليك) أو العقاب الأشد صرامة

(أنا زعلان منك) .. أعرف أن الموضوع انتهى وأن دم المرأة راح هدرًا .. أضاعه زوجها وأضاعه أولادها وأضاعه طبيبها ..

هكذا اجتمعت مع صديقى المخلص د. (فوزى) ورحنا ننسج الخطط معًا .. سوف ننتقم .. لن يكون انتقامًا مريعًا لكنه ممتع برغم هذا ..

اتفقنا مع عدد من الأطباء والممرضات على هذه الدعابة .. بدأ كل شىء عندما استقبلت الممرضات (جودت) قائلات إن واحدة من قريباته جاءت بعد منتصف الليل تسأل عنه وقالت إنها ستعود .. سألهنّ جودت عن اسمها فقلن بصوت واحد : (نجاة أبو مندور) .. احتبس صوته فى حلقه وسأل متحشرجًا كيف تبدو ، فقلن إنها فى العقد الخامس شاحبة جدًا فقيرة جدًا ..

اعتبرها صدفة ، لكنه شعر بقلق لا شك فيه .. وفى اليوم التالى قابل دكتور فوزى فإذا به يسأله عما إذا كانت له قريبة تدعى (نجاة) ولم يتذكر باقى الاسم لأنها ظلت تنتظره طويلاً ثم انصرفت على وعد أن تعود ليلاً .. قال له إنها غلبانة جدًا وإنه أعطاها بعض المال ..

وعند العصر نزل من مسكن الأطباء فقابل زميلتنا (هند) التى أخبرته فى براءة أن من تدعى (نجاة أبو مندور) كانت تنتظره .. امرأة فقيرة جدًا شاحبة جدًا فى العقد الخامس من عمرها .. ثم

سألته : مم تشكو هذه المرأة ؟.. فلتقطع ذراعى إن لم تكن مصابة بسرطان دم .. لكن لا تقلق .. سوف تعود هذا المساء لأنها تريدك فى أمر مهم ..!

وهكذا أمضى ليلته خارج المستشفى ، وحين عاد فى الصباح كان منتفخ العينين أحمرهما منكوش الشعر يشبه العاشق الفاشل فى الأفلام المصرية .. فقط لتقول له ممرضات الصباح وهن منهمكات فى العمل إن امرأة تدعى (نجاة) ظلت تنتظره طيلة الليل على هذا المقعد ، وفى الصباح انصرفت وقالت إنها ستعود حتمًا ..

رفعت (ضاحكًا) :

يا له من مقلب !.. برغم قسوته هو رائع .. ثمة الكثير من العدالة الشعرية هنا ..

مراد :

بعد أسبوع من هذه المواعيد الغامضة ، دخل (جودت) فى نوع من الانهيار العصبي .. صار متوترًا قلقًا يكفى أن تضع يدك على كتفه ليثب فى الهواء مترًا .. ثم طلب إجازة من المدير لأن أعصابه لم تعد تتحمل العمل ..

رفعت :

إذن هو فى إجازة الآن ..

مراد :

نعم .. لكن .. ما زالت تلك المريضة تأتى !.. صدق أو لاتصدق .. ما زالت بعض الممرضات ممن لا يعرفن القصة يقلن لى فى الصباح مثلا أنها جاءت وسألت عن د. (جودت) !

رفعت :

لا شىء فى هذا .. إنها الدعابة حين تتراكب على دعابة .. اللاتى يعرفن السر قررن أن يشركن فيه من لا يعرفن .. من الصعب أن تقابل الشخص الكتوم فى الشعب المصرى ..

مراد :

هناك أسباب لتوترى .. لحظة .. لا تقلقى يا حاجة .. سوف أنهى المكالمة حالاً .. هل أعطوك تذكرة ؟.. جميل .. أرجو أن تنتظرى قليلاً ..

أنا قلق لسبب مهم يا د. رفعت .. هذه النوبتجية التى ماتت فيها المرأة هى نوبتجيتى أصلاً .. كانت هناك ظروف قهرية جعلتنى أستبدل العمل مع (جودت) .. كل شىء رسمى ومدون على الأوراق .. تقول إن هذه جريمة ؟.. ربما هى كذلك من

الناحية الأدبية لكنها ليست كذلك رسميًا .. أعرف أنه من أكثر الأفعال حمقًا أن تترك النوبتجية لمستهتر مثل (جودت) .. ربما كان من الأفضل أن تتركها بلا بديل على الإطلاق ولعل نتائج ذلك تكون أفضل !.. لكن من الناحية الإدارية لا مسئولية على الإطلاق ..

فقط أخبرك بهذا لتفهم أن (جودت) لم يكن المخطئ الوحيد هنا .. هل فهمت ما أريد قوله ؟.. أنا أيضًا لست نقى الضمير إلى هذا الحد ..

رفعت :

لكن لا تقل لى إنك مذعور .. لا تكن كالذى يرسم الوحش ثم يموت خوفًا من الصورة .. أو الذى يلبس قناعًا مرعبًا ثم يملأ الدنيا صراخًا عندما يرى وجهه فى المرآة ..

مراد :

نعم .. نعم .. أفهم كلامك لكنى قلق .. أشعر بأننى سأدفع الثمن بدورى .. كلامك يريحنى من دون شك .. وعلى كل حال أنا مضطر لأن أتركك لأن هذه المريضة نافدة الصبر .. معذرة يا حاجة .. أعرف أننى تركتك وقتًا طويلاً لكن الموضوع مهم كما سمعت .. قلت لى ما اسمك يا حاجة ؟.. لا أسمع ؟.. (نجاة) ؟.. (نجاة أبو مندور) ؟.. لا أعرف لماذا أشعر أننى سمعت هذا الاسم من قبل .. سلام يا دكتور رفعت .. شكرًا لوقتك ..

(يضع السماعة)

شريف :

مكالمة غريبة .. لا توجد مشكلة ما ورائية من أى نوع .. كأنه فقط كان يريد (الفضفضة) ..

رفعت :

نعم .. نعم .. (فى شرود) .. هل سمعت اسم المريضة ؟

شريف :

أية مريضة ؟

رفعت :

تلك التى قطع مكالمته من أجلها .. يبدو اسمًا مألوفًا .. مشكلتى هى سرعة نسيان الأسماء ..

شريف :

بصراحة لم أركز جيدًا .. لا عليك .. لقد انتهت هذه الحلقة وإننا لنعتذر للمستمعين على خلوها من أية قصة ما ورائية ..

رفعت :

لا يمكن أن تتوقع قصة مخيفة فى كل حلقة على كل حال .. ربما يكون حظ الحلقة القادمة أوفر ..

الحلقة الخامسة

على الإيقاع

تحكيها (فيفى الشوربجى)

بدأت أسمع هذه الأغنية مرارًا ، ثم صار الأمر يعذبنى .. أصحو من النوم لأراه راقدًا على ظهره فى ضوء الغرفة الخافت القادم أكثره من النافذة .. عيناه لا تنغلقان جيدًا أثناء النوم لذا تبدوان مفتوحتين لونهما أبيض مخيف .. أبيض شبه مضىء بسبب انعكاس النور .. ثم يصر على أسنانه كعادة العصبيين أثناء نومهم .. الصرير يحدث إيقاعًا يقول : (الموت .. الموت) .. هكذا .. كيف تتوقع منى أن أنام ؟..

شريف :

هذه حلقة جديدة من برنامج (بعد منتصف الليل) .. مضيفكم هو (شريف السعدنى) ومعه ضيف البرنامج الدائم د. (رفعت إسماعيل) .. نحن بانتظار مكالماتكم التى ستكون وقود آلة الرعب .. هذا البرنامج ليس الغرض منه إيجاد الحلول ، قدر ما هو أن نجد الخيال ..

د. (رفعت) .. هناك عدد كبير من الشكاوى التى وصلت إلى الإذاعة تقول إن الأطفال يخافون كثيرًا لدى سماع البرنامج .. هناك من يرفضون النوم ومن يصابون بحالات تبول لا إرادى .. ما رأيك ؟

رفعت :

أعترف أن هناك حلقات مفزعة مثل حلقة الرجل الذى تدب الحياة فى فراشه ليلاً .. لكن من قال إن هذه الحلقات للأطفال ؟.. لماذا قررنا أن نجعلها فى الواحدة بعد منتصف الليل ؟ . كنا نأمل أن يكون الآباء ما زالوا يملكون بعض السيطرة على أطفالهم ويمكنهم إرغامهم على النوم فى التاسعة .. لكن الحقيقة هى أن الأطفال صاروا كائنات مرعبة تتحدى الآباء وكل شىء .. هل يمكن أن تخيف الغول ؟.. مستحيل .. إذن لا تقل لى إن أطفالك خافوا من هذه الحكايات .. بهذا المنطق يمكن للآباء أن يحتجوا على وجود مقابر لأن أطفالهم يحبون دخولها ليلا ويصابون بالذعر ..

شريف :

لا يبدو أنك تحمل مودة كبيرة للأطفال ..

رفعت :

هذه هى المزية الوحيدة لعدم الزواج .. أنا أحب الأطفال فى بداية العمر وهم أقرب لكائنات هشة ندية لعوب .. قطط صغيرة .. فإذا تحولوا إلى تلك الكائنات المرعبة ذات الأسنان الأمامية الناقصة والميركيروكروم على الركب ، فإننى أكرههم كالطاعون .. إنهم يمزقون كتبك ويبعثرون أوراقك ويكسرون أطباقك ويخدشون سيارتك ويقذفون الطوب على رأسك ، فإذا حاولت الانتقام قال المجتمع : « إياك أن تلمس هؤلاء الملائكة الصغار أيها السادى المنحرف ! » .. إنهم يكذبون كالأبالسة ، شرهون كالجراد ، ويتمتعون بسادية غير مسبوقة .. راقب ما يفعله أحدهم مع قط صغير ضعيف .. راقب ما يفعله إذا رأى حشرة غير مؤذية .. إنه يسحقها على سبيل الملل ولمجرد أن هذا بوسعه .. نعم .. لولا مركزى الاجتماعى لقمت بخنق أى طفل أراه ..

شريف :

من حسن الحظ أننى لست طفلاً .. على كل حال سوف نستمع إلى أغنية للمطربة (فتكات حمدى) بانتظار المكالمة الأولى ..

(رنين الجرس) :

شريف :

يبدو أنه لا حظ لنا مع (فتكات حمدى) الليلة ..

رفعت :

للأسف .. إنها مرعبة بما يكفى ..

صوت امرأة :

مساء الخير ..

رفعت :

صباح النور يا سيدتى .. إنه لخطأ جغرافى شائع على كل حال ..

المرأة :

أنا (فيفى الشوربجى) .. اسمى (فيفى) فعلاً وليس اسمًا مستعارًا أو تدليلاً .. زوجة وست بيت .. لا أعمل .. إن زوجى مهندس بترول ويسافر كثيرًا جدًا ، ونحن لم ننجب بعد .. لقد تأخرنا كثيرًا لكن الأطباء يقولون إن السبب هو أننا لم نتواجد معًا فترة كافية .. أنا فى الثلاثين على فكرة .. وقد تخرجت فى معهد الموسيقا العربية لكنى لم أفعل شيئًا بما تعلمته هناك ..

شريف :

مفهوم .. مفهوم .. المشكلة لو سمحت ..

فيفى :

منذ طفولتى أسمع الإيقاعات خلف أى صوت متكرر واجد أننى أربط بينها وأغنية ما .. مثلاً لا أركب سيارة إلا وأسمع المحرك يدندن لحن الفيشار الغربى الشهير الذى استعملناه فى الأغنية العربية (طير وفرقع يا بو الشعر .. مثل حبة الفيشار) ..

الحافلات تجعلنى أسمع الإيقاع شبه الأسبانى لأغنية (جفنه علم الغزل) .. صوت أجهزة التكييف يجعلنى أستعيد مقدمة أغنية (سكن الليل) لفيروز .. ارتطام عربات القطار هو إيقاع أغنية (الملاحة) لشفيق جلال التى تحكى قصة (ريا وسكينة) .. خطواتى وأنا أصعد الدرج تذكرنى بإيقاعات (روك السجن) أغنية إلفيس بريسلى الشهيرة ..

تدريجيًا أجد أننى أدندن هذا اللحن تلقائيًا مع صوت الإيقاع(*) ..

رفعت :

هذا نوع من الوسواس القهرى السمعى .. أعتقد أنه يدل على حاسة موسيقية لا بأس بها .. كل من يعرفون الموسيقار (عبد الوهاب) قالوا إنه لا يكف عن الدندنة فى سره ، ويقر كالقطط طيلة الوقت ..

(★) فكرة وسواس الإيقاعات مستوحاة من إحدى قصص مختارات هتشكوك ، لكن لا علاقة بتاتا بين أحداث هذه القصة والقصة الأصلية ..

فيفى :

لا أحسب عندى الموهبة على الإطلاق .. الأمر كما وصفته أنت : وسواس سمعى قهرى ..

شريف :

هل هناك مشكلة أخرى ؟

فيفى :

لا أعتقد .. أظن أن د. رفعت قد أهدانى التفسير الصحيح لما أعانيه .. شكرًا ..

(تضع السماعة)

شريف :

كانت حلقة قصيرة جدًا ..

رفعت :

والمشكلة سهلة إلى حد لا يصدق ..! أشعر بأننى عبقرى ..

شريف :

يبدو أن علينا أن ننتظر مكالمة أخرى ..

(رنين الجرس) :

صوت رجل :

مساء الخير .. برنامج (بعد منتصف الليل) ؟

رفعت :

نعم يا سيدى .. هل لنا أن نتعرف ؟

الرجل :

أنا مهندس (محمود الشوربجى) .. زوج السيدة التى اتصلت منذ لحظات ..

رفعت :

آه .. إذن أنتم تستعملون الطريقة الغربية فى إطلاق اسم أسرة الزوج على الزوجة .. عندما كنت طفلاً كنت أعتبر أن الغربيين يتزوجون أخواتهم !

الرجل :

أنا أتكلم من السويس . لقد سمعت المحادثة على البرنامج وأردت أن أتصل لأوضح الأمور .. زوجتى جنت أو كادت ، وهذا الداء الذى أصابها جعلها تعتقد أن كل شىء فى العالم يغنى .. نحن موشكان على الطلاق لأنها لم تعد تفعل أى شىء سوى الإنصات لإيقاع

الأشياء .. كنت أنام فى الفراش فأصحو فجأة لأسمعها تدندن متابعة صوت شخيرى أو دقات الساعة .. هذه حياة لا تطاق ..

لو كان على امرئ أن يجد حلاً فهو أنا وليس هى ..

رفعت :

ألم تفكر فى طلب رأى طبيب نفسى ؟

الرجل :

بالطبع نعم .. لم أطلب .. الطبقة الوسطى تعتبر العلاج النفسى اعترافًا بالجنون .. هى تأبى ذلك بقوة وعنف .. هى لم تترك لى حلاً سوى الطلاق ..

رفعت :

هل للأمر علاقة بعدم الإنجاب ؟

الرجل :

ربما .. لكن الفحوص الطبية تقول إننا سليمان .. على كل حال لاتوجد مشكلة فى زوجة تدندن ليلا .. لكن هناك مشكلة فى زوجة تحتفظ بخنجر تحت الوسادة أثناء النوم .. لقد صحت مذعورة ذات ليلة وألقت بالوسادة على الأرض ففوجئت بأن خنجرًا سقط

لينغرس فى الأرض الخشبية .. خنجر طويل له مقبض مزخرف .. وهالتنى حقيقة أننى أنام جوار زوجة مسلحة بخنجر طيلة الليل .. فى رأيك من الذى أعدت له الخنجر ؟.. من الشخص الوحيد الموجود معها ؟

رفعت :

البعض تسيطر عليه فكرة تسلل لص للدار .. البعض يحتفظ بسلاح يرهب به الموت لو جاءه ليلاً .. هكذا كان يفعل لورد بيرون الشاعر البريطانى غريب الأطوار .. كان يحتفظ تحت الوسادة بمسدس محشو ليس لقتل اللصوص طبعًا !

الرجل :

أنت قلتها .. شاعر غريب الأطوار .. من يفعلون هذا مجانين وليس من السهل أن تلتمس لهم العذر ..

رفعت :

المهم .. ماذا قالت لك عندما اكتشفت هذا ؟

الرجل :

لم تقل أى شىء .. فضلت الصمت برغم صراخى فى وجهها وبرغم أننى كدت أفتك بها فعلاً .. إن عملى هنا فى السويس

رحمة .. يمنحنى مزايا الطلاق بلا طلاق .. لقد قللت من إجازاتى جدًا على فكرة .. لم أعد أرى القاهرة إلا لمامًا ..

رفعت :

على كل حال نحن ما زلنا نتحرك فى جمهورية المرض النفسى .. لم ندخل بعد إلى مملكة الميتافيزيقا .. إذن ليس هذا ضمن اختصاص البرنامج ..

الرجل :

هى اتصلت بكم .. لذا اتصلت بكم .. هذا هو السبب .. على كل حال سوف أعود إلى القاهرة وأطلقها .. لم يعد هناك حل آخر .. لقد فضحتنى بالاسم على الهواء .. لا شك أن كل إنسان يعرف مشكلتنا الآن .. سلام ..

(يضع السماعة)

رفعت :

لو سمحت لنفسى بأن أعلق ، لقلت إنه هو الذى قال كل شىء .. هى لم تتكلم سوى عن سماع الإيقاعات بينما حكى هو كل دقائق حياتهما ..

شريف :

مهما كان الأمر فمشكلتهما ليس مكانها هنا .. لقد أخطأ كلاهما طلب رقم برنامج (رسالة) ..

(جرس الهاتف)

شريف :

آلو .. برنامج (بعد منتصف الليل) ..

فيفى :

أنا من اتصلت منذ دقائق .. (فيفى الشوربجى) .. التى تسمع الإيقاعات ..

شريف :

آه !.. بأية معجزة تمكنت من الوصول لنا ثانية ؟

فيفى :

سمعت هذه المكالمة العجيبة من زوجى .. يجب أن أرد ..

شريف :

سيدتى .. لسنا فى محكمة أحوال شخصية هنا .. لا نريد أن نضيع وقت البرنامج فى كلمة منك وكلمة منه ..

فيفى :

كلا .. الحقيقة أننى كنت على وشك استكمال قصتى وجبنت فى المكالمة الأولى ، لكنى لا أرى ما يمنع بعد ما قاله على الهواء ..

شريف :

إن كان هناك جديد فنحن مستعدون للإصغاء ..

فيفى :

حسن .. إننى .. (صوت ضوضاء من بعيد) .. الجيران يدقون شيئًا فى شقتهم فى هذه الساعة المتأخرة .. صوت الضوضاء هو بالضبط إيقاع أغنية (كعب الغزال) لمحمد رشدى ..

ما علينا .. فى البدء لاحظت صوت التنفس لزوجى أكثر من مرة ، ثم لاحظت صوت شخيره .. إنه نفس إيقاع أغنية تقول (حاخد روحك .. حاخد روحك) ..

رفعت :

على قدر علمى لا توجد أغنية بهذا الاسم .. لو كان هناك من غناها فهو مجنون ..

فيفى :

لا توجد .. لكننى أسمعها موقعة كاملة التلحين .. فقط شخيره يمنحها الإيقاع اللازم ..

بدأت أسمع هذه الأغنية مرارًا ، ثم صار الأمر يعذبنى .. أصحو من النوم لأراه راقدًا على ظهره فى ضوء الغرفة الخافت القادم أكثره من النافذة .. عيناه لا تنغلقان جيدًا أثناء النوم لذا تبدوان مفتوحتين لونهما أبيض مخيف .. أبيض شبه مضىء بسبب انعكاس النور .. ثم يصر على أسنانه كعادة العصبيين أثناء نومهم .. الصرير يحدث إيقاعًا يقول : (الموت .. الموت) .. هكذا .. كيف تتوقع منى أن أنام ؟.. إننى أوشك على الانهيار العصبى عندما يكون فى البيت ..

لسبب يتعلق بالشعور بالأمان ابتعت هذا الخنجر وأخفيته عنه .. فقط عندما يكون تحت الوسادة وأقبض بيدى عليه أشعر بأننى قادرة على النوم ..

رفعت :

لكنك تعرفين أن هذا كله وهم ؟

فيفى :

أعرف أنه على الأرجح وهم ..

رفعت :

جميل .. الفارق الشهير بين الوساوس والضلالات الذى نجده فى أى كتاب للطب النفسى .. الوساوس يقاتل المريض كى يتخلص منها ، بينما الضلالات يقاتل المريض كى يحتفظ بها .. الأولى تعبر عن اضطراب نفسى .. الثانية تعبر عن جنون مطبق .. إذن أنت ما زلت فى مرحلة الاضطراب النفسى .. لم تعبرى إلى الجانب الآخر بعد ..!

فيفى :

على كل حال لا يهمنى أن أعرف حالتى النفسية قدر ما يهمنى أن أعرف حالة زوجى ..

رفعت :

لا أفهم هذا الجزء ..

فيفى :

منذ نعومة أظفاره وزوجى شبه مخطوب لابنة عمته .. أنت تعرف كيف تبرم العائلات هذه الصفقات لأطفال فى صغرهم .. (مى) ابنة عمته وهى .. هى ..

رفعت :

نعم .. نعم .. حدأة ملطخة بالأصباغ لكنها تفتن الرجال لأنهم أطفال بلهاء يحبون الألوان الزاهية ..

فيفى :

بالضبط .. أنت واسع الخبرة كما هو واضح .. طبعًا ظل هذا العهد قائمًا حتى تخرج فى كلية الهندسة ، وصار عريسًا مرموقًا .. راتبه مرتفع بالمناسبة وشكله يشبه ممثلى السينما . هنا قرر أن يتحرر من عهده وأن يقع فى حب تلك الفتاة النحيلة خريجة معهد الموسيقا العربية ..

رفعت :

وهو ما لم يرق للأسرتين طبعًا ..

فيفى :

طبعًا .. لابد أنهم استمطروا علىّ الكثير من اللعنات .. وفى حفل الزفاف حضروا على مضض وأقسم أن عمته كانت دامعة العينين وهى تبارك لى .. حضرت (مى) الزفاف وكانت لها ابتسامة مسمومة كريهة .. بعدها لم تعد الحياة كما كانت .. هل تؤمن بالأعمال ؟

رفعت :

أؤمن بالسحر .. نعم .. وأؤمن أن بعض الناس يمارسون هذه الأشياء ، لكن هل ما يمارسونه فعال ؟

فيفى :

على كل حال لابد من شخص يفسر لى سبب عدم إنجابى ، ولا ذلك الحاجز الغريب بينى وبين زوجى .. لقد صرنا على حافة الطلاق فعلا بلا سبب من أى نوع .. أعتقد أن الطريق ممهد كى يتم الطلاق ويسقط هو كثمرة ناضجة فى كف الآنسة (مى) هذه .. أ .. معذرة للخروج عن الموضوع لكن هل تسمع هذا الصوت الخفيض المنتظم ؟.. له ذات إيقاع أغنية (بقرة حاحا) .. هل تعرفها ؟.. أغنية الشيخ إمام وأحمد فؤاد نجم ..

شريف (فى ارتباك) :

فلنعد للموضوع يا فيفى من فضلك(*) ..

(★) فى هذا الوقت لم تكن هذه الأغنية معروفة إلا لقلة من اليساريين . ومن الواضح أن الكلام عنها محرج للمذيع الشاب باعتباره كلامًا فى السياسة ..

فيفى :

من حين لآخر أفتح باب الشقة لأجد تلك العلبة الصغيرة المليئة بشىء قذر لا أدرى ما هو .. أحيانًا هناك بقعة من الماء مسكوبة بطريقة ترغمنى على أن أخطو فوقها عندما أغادر الدار .. زوجى قال لى فى لحظة صفاء إن عمته من هذا الطراز وتؤمن بهذه الأمور .. إنها من طراز (أشتاتًا أشتوت) إياه ..

الأخطر أننى منذ أيام وجدت فى غرفة نومى التى أكلمك منها الآن .. بل تحت وسادتى قطعة قماش ملفوفة على شىء ما .. تخلصت منها من دون أن أفتحها ..

رفعت :

لا شىء يخيف فى هذا .. غالبًا هى عظام موتى مع تراب من المقابر ، وبعض التعاويذ مكتوبة بطريقة معينة .. هناك الكثير من سحر الأرقام كذلك ..

فيفى :

حقًا ؟.. أنت تملؤنى سرورًا واطمئنانًا .. تراب مقابر ؟.. خشيت أن يكون الأمر مخيفًا !.. على كل حال كان زوجى فى البيت وقتها وأعتقد بشدة أنه هو من وضع هذه اللفافة ..

رفعت :

هذا مقلق .. ليس لأننى أعتقد أن ما يقمن به فعال ، ولكن لأنه من المخيف أن يعرف المرء أن هناك من يكرهه إلى هذا الحد .. إلى درجة الكفر .. نعم .. ما يقمن به كفر سواء كان فعالاً أم لا ..

فيفى :

حتى عندما أكون وحدى أقضى الوقت شاعرة بذعر جهنمى من هذا الذى يحدث .. يدق قلبى بسرعة فأميز نغمة أغنية (اجرى اجرى) لعبد الوهاب .. ويطير النوم من عينى .. على فكرة أنا أكلمك ولحن (بقرة حاحا) لا يفارق سمعى ..

رفعت :

هل أنت مقيمة وحدك فعلاً ؟

فيفى :

طيلة الليل .. نعم .. أحيانًا أسافر إلى الزقازيق حيث يقيم أهلى ، لكنى أعود هنا دائمًا لأن بيتنا ضيق ولا مكان لى فيه .. لكن هناك امرأة مسنة تدعى (أم عصام) تأتى لتساعدنى فى البيت وتخفف من وحدتى .. لكنها تنصرف فى التاسعة مساء .. اليوم بالذات انصرفتْ متعجلة حتى أنها لم تخبرنى بانصرافها ..

رفعت :

من الذى جاء بها لتعمل عندك ؟..

فيفى :

زوجى طبعًا .. لِمَ تسأل ؟

رفعت :

من أين يأتى الرجل بامرأة عجوز تساعد فى البيت إن لم يكن عن طريق أمه ؟

فيفى :

أمه توفاها الله بعد زواجنا مباشرة ..

رفعت :

إذن .. عمته هى من قدمها له ؟

فيفى :

ربما .. احتمال وارد ..

رفعت :

ألم يخطر لك أن هذه العجوز هى من يضع تلك الأعمال السحرية على وسادتك ؟.. يصعب علىَّ أن أتصور زوجك المهندس المثقف يفعل هذا ..

فيفى :

هل تعتقد هذا ؟.. بصراحة لم يخطر لى ببال . إنها عجوز طيبة فعلاً ..

رفعت :

احتمال وارد وقوى .. فخذى الحذر أو تخلصى منها .. إن لم تلعب دور القاتل فلسوف تلعب دور الجاسوس .. لا شك أن أخبارك كلها تتسرب إلى عمته الشمطاء ..

شريف :

توخ الحذر يا دكتور .. نحن نتعامل مع أسماء حقيقية الآن ..

فيفى :

لقد حكيت لك كل شىء .. أرجو أن تخبرنى برأيك .. هل زوجى فعلاً تحت تأثير عمل سحرى ؟.. على فكرة لحن (بقرة حاحا) لا يفارق مسمعى .. هذا غريب ..

رفعت :

بينى وبينك .. أنا سمعت تلك الأغنية من قبل .. إنها عمل عبقرى لأحمد فؤاد نجم .. واللحن الذى .... (حاحا) ؟.. متأكدة من ذلك ؟.. ليست أغنية (أنا الميلامين جامد ومتين) ؟

فيفى :

أنا لا أمزح .. هذا ما أسمعه .. سأصمت قليلاً وحاول أن تركز ..

رفعت :

لا داعى .. من المستحيل أن يصل هذا الصوت الخافت عبر أسلاك الهاتف .. فقط أريد منك أن تنزلى بحذر من فوق الفراش .. بحذر شديد .. هاتى كشافاً وألقى نظرة تحت الفراش .. هلم !

شريف :

ما معنى هذا ؟

رفعت :

اصبر قليلا .. لم تختر من كل أغانى الكون إلا هذه الأغنية .. لماذا ؟

فيفى :

د. رفعت ..

رفعت :

مـاذا ؟

فيفى :

هل سمعت ؟.. هناك .. هناك ثعبان ضخم تحت الفراش .. أعتقد أنه كوبرا !.. عندما رآنى أصدر فحيحًا غاضبًا مروعًا .. **(تبكى وتشهق)** ..

رفعت :

هذا ما توقعته .. إن أذنيك حساستان لدرجة لا تصدق .. الفحيح الخافت للكوبرا المصرية بدا قريبًا جدًا فى أذنيك من إيقاع (بقرة حاحا) التى يتردد فيها فحيح حرف الحاء فى إلحاح مريب .. الآن سوف تضعين السماعة فى هدوء ، وتغلقين باب الحجرة وتطلبين الجيران أو الشرطة ..

فيفى :

حاضر .. حاضر ..

رفعت :

ولا تثقى أبدًا فى أم (عصام) هذه ..

فيفى :

نعم .. نعم .. هى من فعل هذا .. فهمت هذا الآن ..

(تضع السماعة)

شريف :

ما معنى هذا ؟

رفعت :

معناه أن تلك العجوز الطيبة التى أرسلتها العمة قد دست كوبرا مصرية تحت فراش الزوجة البريئة .. لابد أنها أحضرتها فى جوال وفتحته تحت الفراش ثم فرت .. عندما يسود الظلام والهدوء سوف يخرج الثعبان باحثًا عن الجسد الوحيد الدافئ فى الحجرة كلها .. طريقة قتل غريبة لكنها تناسب من امتلأ عقله بالأعمال السفلية وهذا الهراء ، وبالطبع سوف تحضر العجوز رفاعيًا فى الصباح الباكر ليتخلص من الثعبان .. هكذا لا تجد الشرطة ما يريب ولسوف يعتبرون الحادث نوبة قلبية فى سن مبكرة أو شيئًا من هذا القبيل ..

شريف :

هذا صعب التصديق ..

رفعت :

سوف تصدق لو رأيت كوبرا تحت فراشك .. إن الزوجة ذات موهبة سمعية لا شك فيها ، ولولا هذه الموهبة لهلكت ..

لا أعرف إن كان الزوج يتكلم فى نومه أم هى أوهام سمعية سببتها حالتها النفسية ، لكن النتيجة واحدة ..

شريف :

لعل الزوج يسمعنا فى السويس الآن .. حان الوقت كى تعرف زوجتك حقا ، والأهم أن تعرف عمتك حقا ..

رفعت :

بل حان الوقت كى يعرف نفسه أولا ..

الحلقة السادسة

حكاية بيسة

تحكيها (بيسة)

لن أسمح لها بذلك .. أنا أخافها وأهابها .. تصور الفتاة الباردة الصموت التى تعاملك كأنك تمثال طيلة الوقت ، وفجأة يشرق وجهها وتتأبط ذراعك وتقول : هيا بنا نتناول الغداء عندك اليوم .. مستحيل أن أقبل هذا ولا أستسيغه .

شريف :

نحن ما زلنا بانتظار المكالمة الأولى لحلقة الليلة .. حتى يحين هذا الوقت يطيب لى أن أسأل الدكتور رفعت عن رأيه فى موضوع الحلقة السابقة .. تلك الفتاة التى تشعر أن هناك كائنًا ما تحت فروة رأسها .. كلما أزاحت الخصلات وجدت جزءًا منه ..

رفعت :

بصراحة .. نحن نقف عند البوابة السحرية بين عالم الخوارق والخبال الصريح .. من السهل أن تجتاز البوابة لتجد أننا نتحدث مع مجانين .. لن نتأخر كثيرًا حتى نقابل الرجل الذى تتحرر قدمه لتجول فى البيت ليلاً ..

شريف :

لكن هذا حدث فعلاً .. تلقينا مكالمة مماثلة .. هل نسيت ؟

رفعت :

لابد من الترشيح .. لابد من ذلك (الفلتر) الذى وضعه الله فى أذهاننا .. أنت تعرف مشايخ الطرق فى مصر ، وكيف أن كل واحد منهم يزعم مريدوه أنه يمشى على الماء ويلحق بمواعيده طيرانًا .. هل تعتبر هذه قدرات ميتافيزيقية أم هلاوس ؟.. هناك

ظواهر غريبة لا تفسير لها وما أكثرها .. قابلت من يقرأ الأفكار ومن يحرك عن بعد .. لكن حتى مع هذه الغرابة هناك منطق ما يجعلك تقبل القصة أو ترفضها ..

شريف :

على كل حال ، نحن بانتظار المكالمة الأولى .. سنرى إن كانت غريبة أم لا .. هل غرابتها من النوع القابل للابتلاع أم لا ..

(رنين الهاتف)

شريف :

ألو .. هل لنا أن نتعرف ؟

فتاة :

هل (تغريد) موجودة ؟

شريف :

لا .. واضح أنها مكالمة خاطئة أخرى .. شكرًا ..

الفتاة :

لا تتعجل بهذا الشكل .. يبدو لى صوتك ظريفًا .. هل لنا أن نتعارف ؟..

شريف :

أنا لست (تغريد) .. هذه معلومات كافية على ما أظن .. شكرًا .

الفتاة :

ومن قال إن هناك (تغريد) أصلاً ؟.. أنا أشعر بفراغ فى منزلى ولا أجد ما أعمله ؛ لذا أطلب أى رقم .. هل تحب أن تعرفنى .. إننى جميلة كأجمل أحلامك .. رقيقة كأرق خواطرك .. لطيفة كألطف دعابة سمعتها ..

شريف :

نحن هنا على الهواء فى برنامج (بعد منتصف الليل) .. مهمتنا سماع القصص الخوارقية الغريبة ..القصص المرعبة أو التى لا تصدق .. أعتقد أن هذا الهدف يختلف عن تسلية الفتيات الوحيدات ..

رفعت :

شيطان التسلية المعتاد .. عندما أسمع عن سفاح ، أعتقد أحيانًا أنه كان يشعر بملل وأراد التسلية ..

الفتاة :

أنتما اثنان إذن .. صوت صاحبك يشى بأنه ناضج كبير السن ..

رفعت :

أنا كبير السن لكنى غير ناضج .. أرجو أن تضعى السماعة يا آنسة .. نحن هنا نعمل فعلاً .. قد يبدو عملاً عجيبًا لكنه عمل نتقاضى عنه أجرًا ..

الفتاة :

ليكن .. أنتما تريدان سماع قصص مخيفة ؟.. سأحكى لكما عن (سوسو) زميلتى .. أنا أدعى (بيسة) على فكرة ..

رفعت :

بيسة وسوسو .. طبعًا تتحدثين عن (سوسن) و(بثينة) .. عندما تطلق الفتيات على أنفسهن هذه الأسماء تشعر بأنهن يبحثن عن المشاكل وأنهن متعبات فعلاً ..

بيسة :

أنا طالبة فى كلية ما .. هى طالبة فى ذات الكلية .. كلانا التحق بالدراسة منذ ستة أشهر .. أى أننا مستجدتان ..

لم تكن لنا علاقة ببعض .. هى طالبة شابة ملائكية نوعًا أو تبدو كذلك .. تحضر المحاضرات بانتظام وأميل إلى الصمت والتأمل .. لكن عينيها تتكلمان .. عيناها لا تكفان عن ملاحقة الناس ومتابعة كل شىء .. أمقت طراز الناس الذين لا يكفون عن اختلاس النظر إليك وأنت منهمك ..

ثم لاحظنا ما هو أغرب .. إنها لا تكف عن تفحص حاجياتنا .. عندما تنسى دفترك على المكتب لدقائق تجدها تقلب فيه فى فضول ونهم ..

لما كانت الجامعة موقعًا أمنيًا مهمًا ، فقد رجحت الطالبات أنها تعمل مع الأمن .. هذا دور شائع وغالبًا ما يجذب صاحبه الأنظار لنفسه لأنه أحمق .. هكذا بدأن يخشينها ويتجنبنها ، وعندما كان أحد زملائنا فى الجامعة يوزع مجلة طبعها هو تنتقد بعض المواقف الحكومية ، نصحناه أن يخفيها عن (سوسو) ..

لكن الأمور كانت أعقد من هذا ..

رفعت :

إذن موضوع تغريد هذا لم يكن مجرد دعابة أنثوية .. أو هى دعابة أنثوية قائمة على إقناعنا بأنك تداعبيننا مداعبة أنثوية ثم يتضح أنها ليست دعابة أنثوية .. عندك قصة طويلة ومتشعبة .. لا يمكن أن تكونى قد تذكرت القصة فجأة ..

بيسة :

لا يهم .. أسمع فحسب ..

كانت (سوسو) غريبة الأطوار فعلاً .. مثلاً كانت تتكلم مع أية فتاة فتمد يدها لتكشف عن معصمها بلا سبب واضح .. ليس هذا كل شىء ..

كنا فى المختبر ذات مرة نلتف حول واحد من (البنشات) أنا وبوسى وفافى وماهى . كلنا كنا نعمل على تجربة كهربية واحدة .. ثم لحقت سوسو بنا لتقف جوارنا .

رفعت :

أنت فى كلية عملية إذن ..

بيسة :

نعم .. كان على (بوسى) و(فافى) أن تقوما بتركيب الأسلاك العارية بأيديهما ، ولهذا كنا قد انتزعنا القابس بانتظار توصيل الدائرة .. كانت الفتاتان منهمكتين غارقتين فى المزاح .. وفجأة صرختا كأن الشيطان مسهما ..

اكتشفنا أنهما ترتجفان .. ونظرت بسرعة إلى القابس فوجدته قد أعيد لمكانه !.. لقد تم توصيل الكهرباء فى الدائرة بينما الفتاتان

تعملان .. ومن فعل هذا ؟.. (سوسو) طبعًا .. جريت وانتزعت القابس ، ولم تكن الفتاتان قد تضررتا بقوة فيما عدا الصدمة العصبية .. التففنا حول تلك المجنونة نلومها على هذا العمل الأخرق ، فقالت فى خجل إنها أرادت أن تساعد بأى شكل .. وخطر لها أن وضع القابس فى مكانه سوف يساعدنا بشكل ما ..

هذا كان أغبى عمل رأيته فى حياتى ..

فى مرة أخرى كنا فى مختبر الكيمياء .. كان المعيد قد شرح لنا ما يجب القيام به بصدد التجربة وانصرف .. هكذا عكفت كل واحدة منا على الأملاح والأحماض تجرى التجربة بنفسها .. كانت (سوسو) واقفة تتفحص أنبوب الاختبار فى اهتمام ..

فجأة تصاعدت رائحة غاز (ثانى أكسيد الكبريت Sulphur Dioxide) المهيجة للأغشية المخاطية والعينين .. تصاعدت بكثافة غير عادية فرحنا نسعل ورحنا نتلمس الطريق للخروج .. نظرت إلى الخلف فرأيت أن سوسو هذه هى مصدر الرائحة .. لقد استعملت ما هو موجود فى المختبر لتصنع هذا الغاز السام .. كانت تمسك بأنبوب الاختبار وتنظر لنا فى ثبات .. كنا نتدافع نحو الباب ، لكن الخروج كان مستحيلاً بسبب المجنون الذى صمم الباب بحيث ينفتح إلى الداخل .. فى العالم المتحضر تصمم هذه الأبواب بحيث تفتح للخارج ، لكن ما حدث هنا هو أننا كنا نزيد من إحكام غلق الباب بأجسادنا ..

هنا فقط هوى أحد الفتية على زجاج النافذة الموصدة بمقعد من المقاعد فهشمه ، وبدأ الأكسجين يتسرب إلى الداخل ..

كانت هناك حالات إغماء بسبب هذا الغاز اللعين .. لكننا نجونا ..

وحينما جاء المعيد مذعورًا أخبرناه أن تلك الحمقاء قامت بتحضير غاز سام فى مكان مغلق ..

كانت تبكى ، وقالت دامعة العينين إنها لا تفقه شيئًا فى الكيمياء .. لقد صبت حمض الكبريتيك على أول ملح صادفته وكانت النتيجة كارثية ..

أمام دموعها ووجهها الرقيق لم يجد المعيد إلا أن يذكرنا بخطورة ما نقوم به .. على المرء أن يعرف ماذا يفعل بالضبط قبل أن يفعله ..

رفعت :

من الواضح أنك لا تصدقين البتة أنها فعلت ذلك عن جهل ..

بيسة :

لا أصدق أى حرف تقوله .. هذه الفتاة تتصرف عن عمد ورغبة قوية فى الإيذاء . لكنك ترى وجهها الملائكى فتتأكد من أنك تهذى ..

رفعت :

على كل حال .. نحن لم نبتعد عن المشاكل النفسية كثيرًا .. إن الشخصيات السيكوباتية موجودة فى كل مكان ..

بيسة :

لم تستطع أية فتاة أن تتقرب منها .. دومًا هى تحافظ على حاجز بينها والفتيات الأخريات .. لم تزرها واحدة فى بيتها برغم أنها زارت الكثيرات .. لا نعرف أى شىء عن أسرتها ولا أهلها ..

شريف :

على الأقل قد زارتك أنت ..

بيسة :

لقد طلبت منى هذا يومًا وهى تتأبط ذراعى وتلقى نظرة فاحصة على معصمى .. لكنى رفضت بقوة .. لن أسمح لها بذلك .. أنا أخافها وأهابها .. تصور الفتاة الباردة الصموت التى تعاملك كأنك تمثال طيلة الوقت ، وفجأة يشرق وجهها وتتأبط ذراعك وتقول : هيا بنا نتناول الغداء عندك اليوم .. مستحيل أن أقبل هذا ولا أستسيغه ..

أنا اجتماعية جدًا ولى صديقات كثيرات ؛ لذا أشعر أن أمثال هذه كائن غريب مريب ..

على كل حال من ضمن صفاتى أننى فضولية كقط ؛ لذا راحت أفكارى تتركز على خزانتها فى الكلية .. الخزانة التى يسلمونها لنا فى بداية العام .. إنها موجودة فى بهو طويل فى الطابق السفلى من الكلية ..

كانت قد نسيت مفاتيحها على المنضدة ونحن فى المختبر ، هكذا سرقت المفاتيح .. وجدت أنها منهمكة فى تجربة فيزيائية معقدة فتسللت خارجة ..

جريت إلى البهو .. بحثت عن خزانتها وهى تحمل رقم 313 .. جربت مفتاحين أو ثلاثة حتى وجدتها .. انفتح الباب المعدنى الصغير ، فلم تكن محتويات الخزانة غريبة .. معطف قديم .. كتب دراسية .. ثم .. مجموعة فاخرة جدًا من الخناجر الطويلة المدببة .. حوالى ستة منها ..

لماذا تحتفظ الآنسة اللطيفة بشىء كهذا فى خزانتها ؟

هنا سمعت صوت خطوات قادمة فوثب قلبى إلى فمى ، وهرعت أغلق الخزانة وجريت إلى خزانتى ورحت أتظاهر بأننى أبحث فيها ..

كانت هى بالفعل !

كانت هى وقد أحسنت صنعًا عندما تواريت فى الوقت المناسب .. لكنها اتجهت فى ثقة إلى خزانتها وفتحتها !....

رفعت :

حسبت المفاتيح معك !

بيسة :

نعم هى معى .. كنت أفكر فى طريقة إرجاعها ..

شريف :

وما المشكلة فى أن تكون مع سوسن نسخة احتياطية ؟

رفعت :

نعم . هذا وارد ، لكن يجب أن يندهش المرء أولاً .. يقلب الدنيا بحثًا عن مفاتيحه .. يسأل الجميع .. ثم بعد وقت طويل يتذكر أن معه مفاتيح احتياطية ، لكن هذه الفتاة تصرفت كأنها تعرف كل ما حدث ..

بيسة :

هذا أثار رعبى .. ما أثار رعبى أيضًا أنها التفتت لى .. لا شك فى أن الذنب كان مرسومًا على وجهى .. ضحكتْ ضحكة شيطانية وقالت بطريقة عارضة : « كيف حالك يا (بيسة) ؟.. بعض

الناس يحبون أن يضعوا خيوطًا شفافة تحيط بحاجياتهم كى يعرفوا إن كان أحد عبث بها ! »

سألتها فى رعب عما تقصده فلم تقل شيئًا .. فقط قالت : « هو مجرد خاطر » .. ثم أغلقت خزانتها ورحلت ..

د. (رفعت) .. أنا أخاف هذه الفتاة كالموت ..

رفعت :

معك حق .. هى كذلك .. لكنى ما زلت أميل إلى أنها شخصية سايكوباتية تجد لذتها فى إيذاء الآخرين .. لا أكثر ولا أقل ..

بيسة :

إنها تعرف الكثير عنى الآن ..

رفعت :

لست ميالاً إلى أنها ستغمد هذه الخناجر فى جسدك .... كل ما عليك هو أن تتجاهليها .. كفى عن الفضول المؤذى ودعى الخلق للخالق ..

بيسة :

هذا كل شىء ؟.. هل لى أن أطمئن ؟

رفعت :

أعتقد ذلك .. تجاهل بعض المرضى النفسيين أكثر نفعًا ..

بيسة :

شكرًا يا دكتور رفعت .. سوف أفكر فى هذا .. لكن لو وجدتم جثتى ممزقة بالخناجر يومًا ما فعليكم أن تتذكروا هذه المكالمة ..

رفعت :

أعدك بهذا ..

(تضع السماعة)

شريف :

مشكلة سهلة نسبيًا ..

رفعت :

ليس إلى هذا الحد .. هناك علامات استفهام كثيرة تحيط بهذه القصة ، ويبدو أن النهاية لم تُكتب بعد ..

* * *

الحلقة السابعة

حكاية سوسو

تحكيها (سوسن)

هكذا صارت شكوكى منحصرة فى فتاة واحدة ..
فتاة واحدة تعرف كل شىء وتتظاهر بالبراءة ..
فتاة واحدة تدعو الفتيات إلى أماكن غريبة من أجل التغيير والمرح .. طبعًا سوف تتضمن هذه الأماكن المقابر قريبًا جدًا ..

شريف :

من جديد أيها المستمعون الكرام مع حلقة جديدة من (بعد منتصف الليل) .. نحن فى انتظار مكالمتكم الأولى التى ستكون وقودًا يشغل آلة الرعب ..

رفعت :

فلا تتوقف أبدًا .. أرجو ممن يريد التكرار أن يكون دقيقًا ..

شريف :

كالعادة نستمع إلى الأغانى وننتظر المكالمة الأولى .. مع الفنان (محمد رشدى) وأغنية (كعب الغزال) ..

رفعت :

هذا يذكرنى بالمستمعة التى كانت تسمع إيقاع أغنية (كعب الغزال) عندما يدق جيرانها شيئًا ..

شريف :

لم أعد أذكر .. إن الحلقات تتداخل فى ذهنى .. فقط كلها ممتع .. استمتعنا فيها وأمتعنا .. واستفدنا وحاولنا أن نفيد ..

رفعت :

ولم ننجح ..

شريف (يضحك فى عصبية) :

السخرية .. دائمًا السخرية ..

(تبدأ الأغنية) .

(رنين الهاتف)

شريف :

ألو .. يبدو أن المكالمة سريعة اليوم .. من المتكلم ؟

صوت فتاة :

أنا .. أنا (سوسن) ..

شريف :

مرحبًا يا سوسن .. عساك تعرفين أن هذا برنامج بعد منتصف الليل الذى يناقش التجارب الغريبة للمستمعين ..

سوسن :

بالطبع .. أنا لست غبية ..

شريف :

لا أتهم من لا يعرف هذا بالغباء ، لكننا نتلقى مكالمة على الأقل من هذا النوع فى كل حلقة .. البعض يحسب أننا البقال والبعض يحسبنا السجل المدنى .. وهكذا ..

سوسن :

نعم .. نعم ..

شريف :

سوف أكون مسرورًا لو عرفت أن هذا اسمك الحقيقى ..

سوسن :

نعم ولا .. على كل حال أنا معروفة باسم (سوسو) بين صديقاتى ..

رفعت :

سوسو .. الحلقة السابقة كانت مع من تدعى بيسة .. مصادفة عجيبة ..

سوسن :

ليست مصادفة .. أنا هى (سوسو) ذاتها التى حكت عنها (بيسة) .. وقد سمعت الحلقة ؛ لذا قررت أن أكون هنا هذا الأسبوع ..

رفعت :

هى مصادفة كذلك ..

سوسن :

على كل حال أنت تعرف أننى لم أكن فى الكلية منذ أشهر .. هذا صحيح .. لكنى أتيت للكلية بعد (بيسة) مباشرة .. قبل هذه الستة الأشهر لم أكن فى كلية أخرى . لم أكن فى مصر .. لو أردت الدقة : لم أكن فى مكان تعرفه ..

رفعت :

هل بدأنا هذه النغمة إذن ؟

سوسن :

من الخطأ الجسيم أن أقدم لك هذا الاعتراف المجانى ، خاصة على جهاز الراديو .. لكنى مضطرة لأن (بيسة) هذه أقوى منى .. أقوى منا جميعًا .. يجب أن يحترس الناس ..

رفعت :

هل من مزيد من الإيضاح ؟.. ما سر قوتها ؟.. هل هى قريبة وزير ما ؟

سوسن :

لا .. يجب أن أقول لك إن رئيسى استدعانى .. يمكن أن تعتبرنى عميلة فى جهاز سرى .. هذا أقرب شىء ممكن لفهمكم .. رئيسى فى

عالمنا الذى لا تعرفون عنه أى شىء ، قال لى إن أحد الشياطين من أبناء (بعلزبول) موجود فى مصر .. بالتحديد فى مدينتكم . بالتحديد فى هذه الكلية التى صرت فيها ..

رفعت :

عم تتحدثين بالضبط ؟

سوسن :

الأمر كما سمعته وفهمته .. هناك شيطان قد تحرر وهو طليق اليدين فى عالمكم ، وقد تنكر فى شكل طالبة جامعية . لهذا كان علىّ أن ألحق به .. هذه مهمتى فى الحياة .. قال لى رئيسى إن هذا الشيطان تخفى فى شكل فتاة ، وهو يحمل علامة الوحش 666 على معصمه غالبًا ، وهو من الكبريت لذا يتحمل أبخرة الكبريت ، ولا تقتله النيران .. فقط علىّ أن أفتش بحذر .. إن تغيير الشكل أمر غاية فى السهولة علىّ وعليه .. هكذا هبطت على مدينتكم العجوز .. وعلى الفور صرت فتاة اسمها (سوسن) .. فجأة صارت كل أوراق الكلية تحمل معلومات عن تاريخ التحاقى وشهاداتى السابقة ..

الآن صار علىّ أن أندمج فى الحياة الجامعية وأن أراقب بعناية ..

رفعت :

عزيزتى .. لقد بدأنا طور الهلاوس ..

سوسن :

اسمع ولا تعلق .. فقط الحمقى لا ينتظرون نهاية القصة قبل أن يعلقوا عليها ..

لقد حصرت دائرة شكوكى فى الفتيات ، ورحت أراقبهن فى حذر .. أراقبهن كالصقر .. بعضهن كانت له تصرفات غريبة .. لهذا رحت أحاول أن أتبين الحقيقة أكثر .. ولهذا رحت أفتش أوراقهن .. كنت أبحث فى معصم واحدة منهن عن علامة الوحش .. إن علامة الوحش خالدة ولا تتبدل أو تختفى مهما أتقن التنكر .. هكذا استطعت أن أضيق دائرة البحث لتنحصر فى سبع فتيات .. كلهن فى ذات الدفعة التى أدرس فيها .. ذات القطاع الدراسى (السكشن) ..

هؤلاء الفتيات كانت أكمامهن طويلة دومًا .. فشلت تمامًا فى رؤية سواعدهن .. اثنتان كانتا تضمدان معصميهما هما (فافى) و(بيسة) ..

قررت أن أجرب الكهرباء كما حكت لك (بيسة) .. تظاهرت بالغباء ومررت الكهرباء فى أجساد مجموعة من الفتيات فى مختبر الفيزياء .. جرعة غير قاتلة لكنها مؤلمة بحق .. ما لم

تقله لك (بيسة) هو أنها كانت بين الفتيات اللاتى تلقين الصدمة ، والوحيدة التى لم يحدث لها شىء ..

جربت أن أركب غاز ثانى أكسيد الكبريت فى المختبر ، والنتيجة كانت صاعقة .. معظم الموجودين كادوا يختنقون لكن واحدة فقط بقيت هادئة تفتح عينيها عن آخرهما وتراقب ما يحدث .. إنها بيسة طبعًا ..

أين بيتها ؟.. من أسرتها ؟.. لا أحد من الفتيات يعرف وهى بالطبع لم تخبرك بذلك .. عندما طلبت أن أزور أسرتها رفضت فى عصبية ..

هكذا صارت شكوكى منحصرة فى فتاة واحدة ..

فتاة واحدة تعرف كل شىء وتتظاهر بالبراءة ..

فتاة واحدة تدعو الفتيات إلى أماكن غريبة من أجل التغيير والمرح .. طبعًا سوف تتضمن هذه الأماكن المقابر قريبًا جدًا ..

عرفت أن هذه الفتاة فتشت خزانتى بعد ما سرقت مفاتيحى .. بالطبع نحن لا نحتاج للمفاتيح لفتح أى شىء .. أى مفتاح يصلح .. لكنها وجدت الخناجر التى خصصتها لقتلها .. سرقتها منى .. لم تقل لك إنها سرقتها لكنها فعلت ..

رفعت :

صبرًا يا بنيتى .. رأفة بأعصابى .. هل تحاولين إقناعى بأنك لست بشرية ؟

سوسن :

ولا هى ..

رفعت :

وتريدين أن أصدق هذا ؟

سوسن :

يجدر بك أن تفعل بسرعة .. إن ثمن الخطأ باهظ جدًا لن يتحمل عالمك ولا مجتمعك دفعه ..

رفعت :

وماذا تنوين عمله ؟

سوسن :

لقد فشلت فى مهمتى .. لن أستطيع تدميرها من دون الخناجر .. كل ما أستطيع عمله هو إنذار العالم من خطرها ..

سوف أرحل وأعتقد أننى سأعاقب .. لكنى على الأقل حاولت ..

رفعت :

هل تعتقدين أنها ستحاول قتلك ؟

سوسن :

يمكنها ذلك ما دامت الخناجر معها .. لكن ....

صوت امرأة :

لا تقاومى يا صغيرة !

(صوت جلبة وصراخ) .. لا .. دعونى .. لا !!

رفعت :

(سوسن) .. هل أنت معى ؟.. (سوسن) ..

صوت امرأة :

(سوسن) لم تعد هنا يا دكتور رفعت ..

رفعت :

ماذا ؟ . ماذا حدث لها ؟ . من أنت ؟

المرأة :

لا شىء .. أنا د . (صافيناز الخولى) استشارية الأمراض النفسية فى هذه المصحة .. آسفة جدًا لأن سوسن تمكنت من الإفلات والاتصال بك من غرفة المدير .. لكننا بحثنا عنها ووجدناها ممسكة بالهاتف وهى منكمشة جوار المكتب .. سنحقنها بمهدئ وسوف تنام حالاً ..

رفعت :

هذا يعنى أن ..؟

المرأة :

نعم .. (سوسن) مريضة بارانويا تقليدية .. تعتقد أنها مرسلة من عالم آخر ومهمتها القضاء على شيطان تسلل إلى عالمكم .. كل هذا سخف طبعًا .. أكرر اعتذارى ..

رفعت :

توقعت هذا على كل حال من كلماتها الأولى .. لكن شد ما هى مقتنعة !

المرأة :

المرضى العقليون يشعون طاقة نفسية تقنع .. هذا معروف .. والآن أكرر اعتذارى .. سلام ..

(تضع السماعة) ..

رفعت :

هكذا تصير الحياة منطقية ..

شريف :

للمرة الأولى لا أشعر براحتك هذه ..

رفعت :

لماذا ؟

شريف :

لقد بحثوا عنها فى المستشفى فوجدوها تختبئ ممسكة بالهاتف جوار مكتب المدير .. من ثم أمسكوا بها وقيدوها .. متى ذكر اسم (رفعت إسماعيل) وكيف عرفت الطبيبة أنك من يتكلم على الطرف الآخر ؟

رفعت :

ربما كانت الطبيبة تصغى للراديو عندما فوجئت بمريضتها تحكى القصة ..

شريف :

ربما .. لكن ماذا عن صوت الطبيبة ؟.. أليس شبيهًا للغاية بصوت سمعناه الأسبوع الماضى ؟

رفعت :

هل تثق بذاكرتك لهذا الحد ؟

شريف :

لا تنس أننى مذيع .. أى أننى رجل يعيش بأذنيه .. المذيع الذى ينسى الأصوات لا يستحق مهنته .. رأيى الخاص أن القصة الثانية حقيقية وأن (سوسن) سقطت فى يد (بيسة) هذه ولسوف تتخلص منها ، لكنها أرادت أولاً أن تقنعنا أن كل ما قيل هذيان مجانين لذا تكلمت بلسان الطبيبة .

رفعت :

حكاية (سوسن) ضد حكاية (بيسة) .. فمن من الفتاتين نصدق ؟.. قصة (بيسة) أقرب إلى المنطق ، لكن قصة (سوسن) أقرب إلى ما نشعره فى قلبينا الآن .. أعتقد أن علينا أن نحاول معرفة مصدر هذه المكالمة بالاستعانة بالشرطة .. لو كانت من مصحة عقلية فـ (بيسة) على حق .. أما لو لم تكن فنحن فى مشكلة .. مشكلة كبيرة بالفعل !

الحلقة الثامنة

الأخ السابع

يحكيها (مجهول الاسم)

ومن قال إن الانتقام عاطفة راقية ؟.. على قدر علمى كل الحيوانات تنتقم ، وقد قرأت ذات مرة قصة فيل حديقة الحيوان الذى ظل يختزن الحقد ضد حارسه عدة أشهر إلى أن أتيحت له فرصة سحقه ..

شريف :

هنا برنامج (بعد منتصف الليل) .. نحن فى انتظار مكالمة الليلة .. أرجو أن تكون الحلقات السابقة قد راقت لكم .. فى الحلقة الأخيرة سمعنا قصة المستمع الذى يذيع جهاز التلفزيون الخاص به برامج لم تبثها أية محطة .. قصة غريبة ومرعبة ، لكننا ما زلنا نأمل فيما هو أفضل ..

رفعت :

القصة الأفضل لم تحك بعد على كل حال .. نحن ننتظرها منذ بدأ البرنامج فى البث ..

شريف :

نعم .. هذا يجعل الحياة محتملة .. وكما يقول (ناظم حكمت) : إن أجمل الأطفال من لم يولد بعد ، وأجمل البحار ما لم يوجد بعد ، وأجمل ما قلته لك يا حبيبتى لم أقله بعد .. مصيبة أن يعرف المرء يقينًا أنه سمع أفضل شىء ممكن ..

رفعت :

على كل حال هذا أفضل من أن تتوقع أن الأسوأ لم يأت بعد .. كلما حسبت أنك بلغت القاع اتضح أنه ما زال بعيدًا ..

(رنين الهاتف)

شريف :

آلو ؟

صوت رجل :

مساء الخير .. برنامج (بعد منتصف الليل) ؟

شريف :

نعم يا سيدى .. حتمًا ..

الرجـل :

أنا (عبد السلام البسطاوى) من (منية شننتنا عياش) .. الواقـع أنه لا توجد قصص مرعبة فى حياتى ، لكنى أكتب شعرا جيدًا .. هل لى أن أقول شيئًا ؟..

بعد منتصف الليل .. تعود لى ذكراك

بعد منتصف الليل .. أستعيد هواك ..

عندما كنا نحب بعضنا .. وكانت الـ ..

شريف (مذعورًا) :

سيدى .. سيدى .. ليس هذا مجال الشعر .. للبرنامج غرض محدد ..

الرجـل :

وكانت الطيور تغرد باسمنا ..

وكنت أحبك كثيرًا .. وكنت تحبيننى أنا ..

ثم جاء البعاد .. وطفح بى الكيل

عندما استعدت ذكراك .. بعد منتصف الليل ..

شريف :

أستاذ (عبد الرحمن) .. أرجوك أن تنتظر قليلاً ..

الرجـل :

بعد منتصف الليل .. حيث رفعت اسماعيل

يحل مشاكلنا .. بصبره الجميل

وشريف السعدنى .. يا أعظم مذيع

تقدم لنا الرعب الغنى .. والخيال المريع

(يقطعون الخط)

رفعـت :

كان هذا رأيى دومًا .. عندما يتحمس الشاعر ويبدأ فـى إنشـاد قصيدة فلا طريقة لمنعه إلا وضع الديناميت فى فمه ..

شريف :

إنه متحمس ..

رفعت :

أخطر الناس طرًا هم المتحمسون .. سوف ينتهى العالم يومًا على يد واحد متحمس .. على كل حال الأخ (عبد الرحمن) هو أول من يكتب شعر الرعب فى التاريخ .. هناك محاولات ساذجة لإدجار آلان بو ، لكن (عبد الرجمن) تفوق على نفسه .. لم أشعر بمثل هذا الذعر من قبل .. الذعر من أن يستكمل قصيدته ..

(رنين الهاتف)

شريف :

هل من شاعر آخر ؟.. آلو ؟

صوت رجل :

لن أذكر اسمى لو سمحت .. أنا أتكلم من هاتف عمومى لو خطر لكم أن تتابعوا الاتصال ..

رفعت :

بداية قوية ..

الرجل :

أنا قتلت (عباس) .. هذا صحيح .. لكنه استحق ذلك ..

شريف :

بداية أقوى .. لكن لنا طبعًا أن نفترض أن اسم (عباس) مستعار ..

الرجل :

طبعًا .. ما معنى أن أخفى اسمى وأذكر اسم من قتلته ؟.. إن (عباس) صديقى وهو الابن السابع من أسرة كبيرة فى قريته .. أبوه أنجب ذكورًا فحسب ، وكلهم أكبر من عباس لهذا أتوقع أن يكون انتقامهم مريعًا .. ليس البوليس هو ما أخشاه .. هؤلاء لن ينتظروا البوليس ليأتى بحقهم ..

رفعت :

هلا شرحت لنا ؟

الرجل :

عباس كان مدللاً فاسدًا .. إنه الصورة الأولية للكذب .. ما إن تخرجنا فى الكلية حتى جاء لى واقترح أن نبدأ مشروعنا الخاص

بانتظار التعيين .. قال لى إن الوظيفة الحكومية لن تحل أو تقدم أى ربط .. قال لى إن بوسعنا أن نقيم مشروعًا لبيع المواد الغذائية بسعر الجملة .. هذا مشروع مرعب لكنه كان قد رسم كل شىء ، ويبدو أن دراسته الجامعية فى كلية التجارة جعلته يعرف كل هذه التفاصيل ..

لقد استدنت وحصلت على كل قرش يمكن أن أحصل عليه ، كما تشاجرت مع أسرتى إلى أن أقنعتهم بأن يبيعوا قطعة من الأرض تخصنا .. كل هذا المال وضعته فى يد عباس كى نبدأ ..

ابتعنا بعض الثلاجات الأفقية المناسبة للحوم .. استأجرنا المكان .. ثم توارى عباس تمامًا ..

بحثت عنه فى كل مكان .. فى قريته .. فى المقاهى . لدى أصدقائه .. لا أثر له ..

أخيرًا وجدته لدى صديق من أصدقائه .. كانا يمضيان ليلة ماجنة واعترف لى وهو لا يفقه ما يقول إنه أنفق مالى كله .. لا يعرف فيما أنفقه لكنه لا يملك مليمًا منه ..

قال لى ضاحكًا : تجارة مواد غذائية .. هل تحسبها لعبة ؟.. السوق ملىء بأباطرة قادرين على تمزيق طفلين مثلنا ..

سألته عما أفعله وقد أخذ هو كل مليم فى عالمى ، فقال ضاحكًا : الله يعوض عليك ..

هذه كانت الإجابة ، وهذا يضعك فى الحالة النفسية التى صرت فيها ..

لقد أمضيت يومين أجوب المقاهى شاردًا .. لا أستطيع العودة إلى أسرتى ولا أستطيع أن أنام .. شربت ألف لفافة تبغ وألف قدح قهوة ..

رفعت :

الأحمق وماله يفترقان سريعًا .. يؤسفنى قول هذا لكنه دقيق ..

الرجل :

نعم .. كنت أحمق .. لكنى لست سهل الهضم .. هكذا يصير الناس مجرمين .. هكذا رحت أبحث عن عباس من جديد .. قلت له إننى بحاجة إليه لبيع تلك الثلاجات التى ابتعناها ..

رفعت :

أوشك أن أقرأ قصة ما حدث فى صفحة الحوادث ..

الرجل :

بالضبط .. لقد جاء وهو يأمل فى سرقة جديدة يظفر بها .. أنت تعرف باقى القصة .. أغلقت المحل وطلبت منه أن يفتح الثلاجة ليرى إن كانت تعمل أم تالفة .. لما انحنى هويت على رأسه بثقل حديدى .. هوى كالزكيبة على الأرض .. تحسست نبضه فأدركت أنه ميت .. بالتأكيد ميت .. لكنى برغم هذا حملته ووضعته فى إحدى الثلاجات وقمت بتشغيلها ، ثم أغلقتها بالمفتاح بإحكام .. أنت تعرف تلك الثلاجات الشبيهة بالتوابيت ..

عندما أغلقت النور وغادرت المحل كنت أشعر براحة عظمى ..

رفعت :

هذه حماقة كبرى .. هل كنت تعتقد أنك ستنجو بفعلتك ؟؟ الجرائم غير المحسوبة من هذا الطراز تدل على سيطرة ما تحت قشرة المخ .. أى أنك كنت حيوانًا ..

الرجل :

نعم .. ومن قال إن الانتقام عاطفة راقية ؟.. على قدر علمى كل الحيوانات تنتقم ، وقد قرأت ذات مرة قصة فيل حديقة الحيوان الذى ظل يختزن الحقد ضد حارسه عدة أشهر إلى أن أتيحت له فرصة سحقه ..

رفعت :

أكمل ..

الرجل :

قضيت يومين بين منازل أصدقائى ثم عدت إلى المحل ..

فتحت الثلاجة لأرى الجثة .. كانت حيث تركتها تمامًا فى ذات الوضع ، لكن إحدى الساقين مفتوحة عن آخرها لتستقر قدمها فى ركن الثلاجة أو التابوت .. كان هذا غريبًا .. طبعًا كان أول شىء خطر لى هو أنه كان حيًّا فى المرة الأولى وأنا جاهل ..

على كل حال أعدته لوضعه السابق وأغلقت الثلاجة وفارقت المكان .. كانت خطتى هى أن أتركه عدة أيام ثم أرتب سيارة أنقله بها إلى حيث أدفنه فى الصحراء .. عندما يتأكد اختفاؤه سيكون علىّ مواجهة أسئلة الشرطة .. لكن يمكن تحمل هذه ما دمت أدرك يقينًا أننى لم أترك خلفى أثرًا ..

رفعت :

طبعًا عندما عدت وجدت ساقه فى ذات الوضع ..

الرجل :

نعم .. وجن جنونى .. أنا متأكد من أنه مات .. لو لم يكن قد مات من الضربة فمن البرد والجوع والظمأ .. هكذا أغلقت

الثلاجة بإحكام من جديد وغادرت المحل بعد ما أحكمت غلقه ، وقررت أن أتغيب أسبوعًا ..

عدت بعد أسبوع لفتح الثلاجة .. وماذا تتوقع أننى وجدته ؟..

رفعت :

الساق فى ذات الوضع ؟

الرجل :

لا ساق .. لا جثة ..!!.. الثلاجة خالية يا دكتور .. خالية تمامًا !.. المحل مغلق كما تركته والثلاجة مغلقة كما تركتها .. برغم هذا اختفت الجثة !

فررت إلى قريتى وقضيت أسبوعًا لعينًا .. كنت محمومًا بلا مرض معين ..

والحقيقة أن مخاوفى تحققت لكن ليس فيما يتعلق بى ، وليت هذا حدث لى أنا .. لقد وجدوا أخى ميتًا فى الحقل .. كان يعمل هناك فى ساعة متأخرة عندما غربت الشمس .. لا يعرفون كيف ولا لماذا مات ، لكن من غسل جثته قال إنها كانت خالية من الدماء !.. الفلاحون فسروا الأمر بأنه رأى ما يخيف ..

أنا كنت هناك وقت الدفن ورأيت ثقبًا فى عنقه .. ثقبًا صغيرًا لم يلحظه طبيب الوحدة الصحية ، لكنى لاحظته ..

شريف :

آها !.. هذه النغمة تبدو مألوفة .. لا تقل لى إن صاحبك تحول إلى مصاص دماء من فضلك ..

رفعت :

لا أرى أى شىء سخيف فيما قال بفرض أنه صادق .. بفرض أنه غير مخبول .. عباس صديقك هو الابن السابع فى أسرة من الذكور .. الحقيقة أن وضعه ممتاز كى يكون مصاص دماء .. قالوا فى الغرب إنه يسهل عليك معرفة مصاص الدماء ؛ لأنه يكون الطفل السابع لأخوة من نفس الجنس .. أما عن موضوع الساق .. فلو افترضنا أن الثلاجة تحولت إلى تابوت لقلنا إن هذه علامة أكيدة على مصاصى الدماء .. عندما يموت الرجل وتفتح قبره تجد قدمه موضوعة فى ركن التابوت .. هكذا يعرفون أنه سيصير مصاص دماء ويغادر قبره ، وهكذا يقطعون رقبته ويحشون فمه بالثوم ..

شريف :

د. رفعت .. هذا كلام مفزع فعلاً ، لكنه غريب عن ثقافتنا تمامًا ..

رفعت :

كل شعب فى العالم لديه قصص مصاصى الدماء الخاصة به .. صحيح أن الأسطورة بدأت فى أوروبا الشرقية لكنها موجودة فى العالم كله .. إن أهم أساطير مص الدم موجودة عند السلافيين .. لفظة Vampire ذات أصل سلافى .. تذكر أن دراكيولا رومانى .. هناك انقسام كنسى مهم حدث عام 1054 عندما اعتنق الصرب والروس والبلغاريون العقيدة الأرثوذكسية ، بينما اعتنق التشيك والبولنديون الكاثوليكية . كانت هناك مشكلة الجثث التى لا تتعفن فى التربة .. هذه الجثث اعتبرها الكاثوليك جثث قديسين بينما لأسباب واضحة اعتبرها الأرثوذكس جثث مصاصى دماء ..

الجانجريل GANGREL كما قلنا نوع من مصاصى الدماء يفضلون الأماكن المقفرة ، ولهم قدرة فائقة على تغيير الشكل إلى ذئب أو وطواط .. إنهم يحبون معاشرة الحيوانات الضارية لأن هذا يناسب طبيعتهم أكثر . مع الوقت ينمو لهم شىء حيوانى مثل عين القطة أو الفراء أو أذن الوطواط ..

فى الهند يؤمنون أن البطيخ الذى يترك فى البيت حتى يفسد يبدأ فى الحركة ويتحول لكائن يمتص الدم !.. الهند عامرة بأساطير مصاصى الدماء .. هناك الـ (بوتا) الذى يجوب الليل ويهاجم الأحياء كالغول .. بعض تلك المخلوقات لها جمجمة قابلة

للنزع لشرب الدم فيها .. إلا أن أشهر مصاص دماء هو (كالى) ذات الأربعة الأذرع والتى تلبس حول عنقها جماجم الموتى ولها أنياب حادة .. يقال إنها بهذا تهزم الإله (راكتابيجا) الذى كان يعيد التجسد من قطرة دم واحدة .. لهذا تحرص على ألا تترك أية قطرة دم ..هناك الأساسابونسام فى غانا وهو مصاص دماء يتوارى بين الأشجار ويهاجم العابرين ... الداشنافار فى أرمنيا الذى يمتص الدماء من أقدام المسافرين ليلاً .. فى ألبانيا (اللوجات) .. فى أستراليا (يارا ما يها هو) .. فى بلغاريا (أوبور) .... فى الصين (شيانج شيه) .. يخرج من جثة منتحر ويبدو بشريًا لكنك تعرفه عندما لا يتمكن من عبور الماء .. الفرايكولاكاس فى اليونان الذى يأتى لدارك ويناديك بالاسم طالبًا الدخول ..

خذ عندك الوحوش حمر العيون خضر الشعور فى الصين ، وخذ (لاميا) اليونانية التى هى امرأة وأفعى معًا ، والثعالب مصاصة الدم التى تمشى فى مواكب عندما يكتمل القمر فى اليابان ، والرأس الزاحف (بينانجالانج) فى ماليزيا .

شريف :

لا أعرف كيف تذكر كل هذه الأسماء من الذاكرة ؟

رفعت :

لو عشت حياتى لعرفت ما أعرفه ..

شريف :

هل يعنى هذا وجود مصاصى دماء أم يعنى أن الإنسان يخرف فى كل مكان وزمان ؟

رفعت :

يعنى أن هناك شيئًا ما ..

الرجل :

هذا عرض شائق يا د. رفعت .. لكنك لم تشرح لى ما يريده منى ..

رفعت :

سؤال غريب .. الانتقام طبعًا ..

الرجل :

وماذا أفعل ؟

رفعت :

من دون مصاصى دماء فى القصة ، سوف أنصحك بأن تسلم نفسك للشرطة كأى قاتل .. ربما كان السجن أكثر أمنًا .. لا توجد جثة على كل حال وسوف يتعب رجال الشرطة كثيرًا جدًا ..

الرجل :

على كل حال أنت أنرت لى طريقى بحق .. ثمة نقطة أخيرة .. أرجو أن تكلم صاحبى هذا ..

رفعت :

صاحبك ؟.. عم تتكلم ؟

صوت ثان :

مساء الخير يا دكتور .. أنا عباس !

رفعت :

ماذا ؟.. عباس من ؟

عباس :

عباس الذى مات ودفن فى ثلاجة .. الحقيقة أننى كنت ساهرًا مع صديقى وقررنا أن نتصل بك .. يقولون إن عندى موهبة فى كتابة قصص الرعب ، وقد خطر لى أن أجرب .. كتبت سيناريو صغيرًا قام بأدائه صديقى الذى اتصل بك .. إن صوته مقنع وواضح النبرات .. أردنا معرفة تأثير هذه القصة عليك وعلى مستمعيك ..!

رفعت :

هل هذه محاولة للتظرف ؟

عبـاس :

بل هى عـرض لعمل أدبى مـع طلب رأيك .. أعتقد أننـا كنـا مقتنعين .. لقد نجحنا فى إقناعكم وهذا يعنى أننى أديب موهوب ! والأجمل أنك التقطت طعم الأخ السابع والساق ..

شريف :

كنت تضيع وقتنا إذن ..

عبـاس :

لم نتعمد شيئًا .. أنتم تريدون قصة ممتعة مخيفة ونحـن فعلنـا ذلك . نعتذر لو كنا قد سببنا أى إزعاج لكما ..

(يضع السماعة)

شريف :

برغم كل شىء ، هذا مقلب ممتاز ..

رفعت :

نعم .. أشعر بغيظ لا حد له وأتمنى أن يتشـاجرا الليلة فيهشم صاحبه رأسه .. لو أنه فعل ذلك ووجد ساق عباس فى ركن الصندوق غدًا فليعلم أننا لن نساعده فى حل هذه المعضلة !

الحلقة التاسعة

محمووود !

تحكيها (مدام فاتن)

كان القط يقف الآن فى ركن الصـالة ينظر لى تلك النظرة الوقحة المزعجة ولا يبدو أنـه ينوى أن يطرف بجفنيه .. لا عجـب أن اعتبـره الفراعنـة إلهًـا واعتبـره المحدثـون شيطانًا ....

شريف :

هذه حلقة جديدة من برنامجكم (بعد منتصف الليل) .. البرنامج الذى تبقون ساهرين بانتظاره حتى الساعة الأولى من صباح الجمعة .. معكم (شريف السعدنى) وضيفنا الدائم د. (رفعت إسماعيل) . أستاذ أمراض الدم .. لهذا أسأله : لماذا أمراض الدم ؟

رفعت :

أنت تحاول تزجية الوقت طبعًا حتى تأتى أول مكالمة .. ليكن .. لقد جربت فروع الطب عامة كطالب ثم كخريج شاب .. لم أكن مولعًا بالجراحة ففكرت فى فرع من فروع الطب الباطنى ، وقد بدا لى الإنسان لغزًا وقواعد اللعبة تتغير فى كل دقيقة .. لا يوجد شىء ثابت أو مؤكد .. لو رأيت مائة مريض بالتيفود لرأيت مائة شكل مختلف .. مريض الذئبة الحمراء قد يتساقط شعره وقد تتلف كليته سيان .. الكلية قد تتلف على مدى أيام أو أعوام .. قد يعانى مريض الصدفية من مجرد بقعة خشنة صغيرة على ساعده وقد يتحول لشىء مريع شبيه بالسحلية .. كل شىء وارد وكل شىء مستبعد .. فقط فى أمراض الدم وجدت قواعد شبه ثابتة ، ووجدت أن التفكير المنطقى يمكن أن يقودك إلى الصواب ..

شريف :

إذن لا علاقة لمصاصى الدماء بالأمر ..

رفعت :

عندما اخترت تخصصى لم أكن قد قابلت الكثير من القصص المخيفة .. فقط اخترت الفرع الذى تقلد فيه الطبيعة الكتب وتلتزم بها .. ثم سافرت إلى أسكتلندا ونلت الدكتوراه ، وبدأت حياتى واهتماماتى تتشكل ..

شريف :

هل أحببت أسكتلندا ؟

رفعت :

كان هناك جو عام من المودة والصفاء جعلنى أحب البلاد فعلاً .. البروفسور (ماكيلوب) عاملنى كابن له ، وإن كان حازمًا أقرب إلى الشدة أحيانًا .. انطباعى عن البريطانيين سلبى غالبًا ، لكن أسكتلندا تختلف ..

شريف :

ألم تفكر فى الاستقرار هناك ؟

رفعت :

الغرض ليس استمتاعى بالحياة .. لقد أرسلتنى الدولة إلى هناك على نفقتها كى أغترف ما أستطيع من علم وأعود به .. أعود به إلى (حميدة) و(باتعة) وعم (شعبان) وعم (بسيونى) العجوز الذى يعمل فى الحقل، ويشعر أنه شاحب وأنفاسه متقطعة وأنه لم يعد على ما يرام .. هذا هو فهمى للأمور .. للدقة أكثر : أنا ذهبت هناك لأدرس على نفقة عم (بسيونى) وأمثاله . لو كان الغرض هو إمتاعى لكنت هناك الآن متزوجًا من ابنة البروفسور، ولكنت آتى فى إجازة الصيف كل خمسة أعوام مع ابنى (جيمى) و(سارة)، لأحدثهما عن الأهرام وعظمة الفراعنة بينما هما غير مكترثين ..

شريف :

أنت اخترت مصر إذن ..

رفعت :

بعبارة أدق : اخترت ما أحبه فى مصر .. هناك أشياء عديدة لا أحبها لكنى أحاول أن أنساها .. مع أول انقطاع للتيار الكهربى أو المياه، أو أول مشاجرة مع موظف فى السجل المدنى، ومع أول طوبة أتلقاها فى جبينى وأنا أقود سيارتى على الطريق السريع، ومع أول برنامج تلفزيونى أبله، أقول لنفسى : لماذا

عدت ؟.. لكنى أتذكر عم (بسيونى) العجوز الطيب الذى يشرب الشاى الأسود بالنعناع فى الحقل ليلاً، فأهدأ ..

شريف :

هذا جميل .. لكننا ما زلنا فى انتظار أول مكالمة ..

رفعت :

لماذا ؟.. أنا مستمتع جدًا .. أتكلم فى الموضوع الوحيد الذى يروق لى فعلاً وهو أنا .. للمرة الأولى أتمنى أن تتأخر هذه المكالمة .. ككل إنسان أتمنى أن تصدر جريدة مخصصة للكلام عن آرائى فى الحياة، وعلى صفحتها الأولى أخبار عن استيقاظى من النوم وخروجى من الحمام . إلخ .. أنا مندهش لماذا يضيع الناس وقتهم فى الكلام عن المال والفلسفة والسياسة ولا يكرسون حياتهم للكلام عنى أنا ..

(رنين الهاتف)

شريف :

للأسف يبدو أننا سنتكلم فى أمور مملة لا تهمك من جديد ..

رفعت :

هذا مؤس ..

شريف :

آلو .. برنامج (بعد منتصف الليل) .. تفضل ..

صوت امرأة :

صباح الخير ..

شريف :

هل لنا أن نتعرف بك ؟

المرأة :

لنتظاهر بأن اسمى (فاتن) .. ربما تقولون كلامًا محفوظًا تبرهنون به على أننى مخطئة ، لكنى أعرف ما أتكلم عنه .. هذا هو خطأ الرجال الدائم عندما يرون امرأة رقيقة هشة مثلى فيفترضون أن عقلها كذلك رقيق هش ..

رفعت :

نعم .. لكن تذكرى من فضلك أن الهستيريا داء أنثوى لأن (هوستيرا Hustera) باليونانية معناها (الرحم) ..

المرأة :

توقعت هذا لكن صدقونى بالله عليكم .. لقد توفى زوجى (محمود) منذ ثلاثة أشهر ..

رفعت :

تعازينا الحَرَّى ..

المرأة :

ربما أبدو قاسية ، لكن (محمود) ـ رحمه الله ـ لم يكن أفضل ولا أرق زوج فى العالم .. كان يعرف كيف يجعلنى تعسة .. كان يعرف كيف يجعلنى أبكى وحدى فى الفراش .. والنفاق كل النفاق أن أزعم أن وفاته لم تطلق سراحى .. منذ طفولتى كانوا يعتبروننى نسمة تنكرت فى شكل إنسان ، وكان أبى يتساءل كيف استطاع الفول والطعمية أن يصنعا تحفة فنية مثلى بينما لا يصنعان لدى الناس الآخرين إلا كروشًا متدلية وغازات بطن .. لم أكن أقرأ إلا الشعر ولا أنسج إلا الكانافاه .. لم أكن أنام إلا على وسادة محلاة بالدانتيلا .. كنت حلمًا ..

رفعت :

سوف نفترض أن هذا صحيح ، برغم أن تجربتى مع النساء تخبرنى أنهن جميعًا يحملن هذا الانطباع الذاتى عن أنفسهن .. (صورة الذات Self image) عندهن قد تعوزها الدقة ..

المرأة :

صدق أو لا تصدق فهذا شأنك .. على كل حال كبرت وصرت مطمع العرسان فى المنطقة ، وجاء زوجى (محمود) الذى قرر لسبب ما أن عليه أن يكافئنى على رقتى بأن يجعلنى زوجته .. وتحولت حياتى إلى جحيم .. إنه فظ .. بخيل كالبراغيث .. لم يحب فى حياته سوى اللعب فى أصابع قدميه ومشاهدة مباريات كرة القدم وقد كان أهلاويًا بعنف .. فإذا تناول العشاء تجشأ ونام .. دعك طبعًا من البصق على السيراميك فهذه هواية محببة له ..

على كل حال هو قد توفى ولن يستطيع أن يجلس هنا معنا ليدفع هذه الاتهامات عن نفسه .. لبست الأسود الذى ناسب لون بشرتى بشدة فصرت أكثر بياضًا .. أنا لست قاسية .. ما أريد قوله هو أنه كان يملك قطًا .. تزوجته وهذا القط معه وقد جاء به لبيتنا ضمن جهازه ..

رفعت :

آه !.. لا يمكن أن توجد قصة رعب من دون قط .. هذا شىء مقدس فيما يبدو .. كنت أنتظر لحظة ظهوره .. القطط عنصر جوهرى فى قصص الرعب كلها ، فلا عجب أن صنع (إدجار آلان بو) شهرته من قصة القط الأسود . لكن ألا ترين غريبًا أن

يهتم رجل هذه صفاته بالقطط ؟.. العناية بالحيوانات تشى بقدر من الإنسانية لا بأس به ، والاستثناء الذى يحضرنى الآن هو (إميلى برونتى) مؤلفة (مرتفعات وذرنج) القصة الحساسة الأليمة .. كان لديها كلب عملاق مرعب تربيه كى تخرج فيه توترها العصبى واضطراب روحها .. كانت تسدد اللكمات لأنفه حتى يسيل منه الدم !

المرأة :

هذا قياس خاطئ .. أعتقد أن الكثير من الناس يربون الحيوانات كمصدر لإخراج ساديتهم المريضة بمن فيهم مؤلفتك هذه .. نعم أنا لا أعرف كيف أحب زوجى قطًا لكن هذه هى الحقيقة ، ولعل الطيور على أشكالها تقع .. فالقط كان يناسبه بالفعل .. قط سيامى قبيح جدًا على وجهه نظرة شهوانية مزعجة وله عينان ثابتتان وقحتان ..

مات زوجى فقررت أن أحتفظ بالقط على سبيل الذكرى .. لكن هذا الوغد لم يترك لى فرصة كى أحبه .. كان يجول بين الغرف فى توتر مجنون .. ثمة نوع من النمور رأيته فى حديقة الحيوان لا يكف عن الدوران حول نفسه فى القفص وقد تذكرت هذا المشهد على الفور ..

بدأ يموء وفى البداية لم أفهم ما يقول ، ثم ميزت أثناء حروف الكلمة التى لا شك فيها :

ـ « محموووووود !.. محموووووود ! »

كل القطط تقول (داوووود) .. لكن يمكنك بوضوح أن تميز حرفى الميم والحاء فى نداء هذا القط ..

رفعت :

من الواضح أن هذا خداع سمعى .. على كل حال القطط تصدر فعلاً حرفى الحاء والميم وأحيانًا العين والنون والدال ..

المرأة :

منذ أسبوع فتحت التلفزيون فوجدت مباراة للأهلى .. وقبل أن أغلق الجهاز وجدت القط يثب إلى الأريكة ليشاهد المباراة فى اهتمام جنونى .. وأصدر عواء مريعًا مع فحيح ثعبانى فى وجهى عندما كدت أمد يدى لمفتاح الغلق .. كل القطط تعرف كيف تصير مرعبة متى أرادت ..

هناك أشياء غريبة .. القط يحب أن يجلس على الأريكة ويلعق أصابع قدميه .. لم تكن هذه عادته فيما سبق ..

ومن حين لآخر يردد :

ـ « محموووووود !.. محموووووود ! »

صرت أرتجف كلما رأيته .. وصرت أغلق باب غرفة نومى علىّ ليلاً ، لكنه يواصل خدش الباب وهو يكرر هذا النداء الملحّ المعذب ..

رفعت :

كل هذا منطقى .. القط صار هو المعادل الموضوعى لزوجك .. مسألة نفسية معروفة ..

المرأة :

لم تنته القصة بعد .. ذات ليلة كنت نائمة والباب موصد ، ثم صحوت من النوم على شىء يلعق وجهى وشفتي .. فتحت عينى لأجد هذا المخلوق جاثمًا على صدرى .. كيف دخل ؟.. لابد أنه وثب على مقبض الباب ففتحه .. جريت وراءه بالمكنسة فكان يتوارى فى مكان ما ، ثم يظهر عندما تكون هناك مباراة للأهلى أو ليسرق قبلة منى أثناء نومى ..

تكلمت مع أخى (ثروت) فجاء بتلك الحقيبة ، وبصعوبة بالغة دس القط فيها ، وقد كلفه هذا جروحًا لا حصر لها فى يديه وساعديه ، ثم حمله بسيارته إلى الصحراء وتركه هناك .. بعد

يومين وقفت على باب الشقة أثرثر مع جارة لى عندما فوجئت بقط سيامى أهلاوى يندفع كالبرق من جوار قدمى ليتوارى داخل الشقة .. لقد عاد !!.. كنت أسمع قصصًا كهذه لكنى لم أصدقها ..

قمت بتركيب مزلاج لغرفة النوم ، لكن كان علىّ أن أتحمل خدش هذا الشىء للباب طيلة الليل ..

الآن يمكننى تلخيص الموقف : إن روح زوجى الشريرة لم ترد مغادرة البيت بهذه السهولة لذا تقمصت هذا القط لتعيش من خلاله معى .. يصعب تخيل هذا لكن لا أرى الوقائع على ضوء آخر ..

نقدت البواب بعض جنيهات فجاء مع ولده وقد بدا كأبى زيد الهلالى وهو يحمل تلك الشومة وابنه يحمل أخرى .. وقال لى :

ـ « معذرة يا هانم .. أرجو أن تغلقى الباب عليك لأنك لن تتحملى ما سترين .. »

كنت موافقة .. فقط قلت له :

ـ « لا تحطم أى شىء فى الشقة .. أرجوك .. »

أشار لعينيه بمعنى أنه تحت أمرى ، ثم تواريت فى الغرفة وأنا أسمع صراخ الرجل وابنه وعواء القط .. سوف يحطمان رأسه بلا شك .. إن الرفق بالحيوان شىء لا يعرفه هذا الرجل الذى يتسلى بإغراق القطط الوليدة بعد وضعها فى كيس قماشى ..

ضرب .. صراخ .. ضرب .. أشياء تقع .. ثم دق الباب ففتحته لأجد الرجل منهكًا يقول لى :

ـ « إنه سريع الحركة يا مدام .. أى شيطان هذا؟ »

ثم انصرف خائب الأمل وإن وعد بأن يحضر بعض السم لإنهاء العملية بالطريقة السهلة ..

سم !.... كيف لم أفكر فى هذا ؟

كان القط يقف الآن فى ركن الصالة ينظر لى تلك النظرة الوقحة المزعجة ولا يبدو أنه ينوى أن يطرف بجفنيه .. لا عجب أن اعتبره الفراعنة إلهًا واعتبره المحدثون شيطانًا ....

قلت له :

ـ « سامحنى يا (محمود) .. أنا أعرف أنك تعرف أننى أعرف أنك (محمود) ولست القط .. من فضلك اترك هذا البيت .. إن هذا ليس طبيعيًا .. إنه يخيفنى .. »

لكنه لم يتحرك .. ظل فى البيت يأكل ويتابع مباريات الأهلى ..

ثم جاءت ساعة الصفر .. لقد نمت الليلة مبكرًا لكنى صحوت بعد نصف ساعة لأجده يلعق وجهى بذات الطريقة .. لكن الجديد فى الأمر هو أننى أعرف جيدًا أننى أغلقت الباب بالمزلاج .. لقد

انتهت المجاملات ولم تعد هناك أقنعة .. لا مزيد من التظاهر بأنه قط رقيق .. إنه يعترف بوضوح بأنه كائن شيطانى ..

ـ « محمووووود !.. محمووووود ! »

اتجهت إلى المطبخ .. قمت بسلق سمكة صغيرة له .. ثم قمت بهرسها .. فتحت زجاجة السم ونظرت خلفى لأتأكد من أنه لا يرانى ، ثم أضفت منه كمية وافرة إلى طعامه .. لا أريد أن يتعذب لكنى كذلك لا أريد أن ينجو .. من المحزن لمن كانت فى رقتى أن تقوم بتسميم قط ، لكن هذا هو الخيار الوحيد أمامى قبل أن أنتحر .. هكذا خرجت إلى الصالة مصدرة الكثير من (البسبسة) ووضعت الطبق الصغير على باب الشقة ..

هو الآن قد أكل .. منذ ساعتين .. ترى كم الوقت يلزمه حتى يموت ؟.. ليست لدى خبرة بالموضوع فى الحيوانات ..

رفعت :

هذا يعنى أنه لم يمت بعد .. القصة ما زالت طازجة ..

المرأة :

نعم .. هل عندك فكرة ؟.. لماذا يأبى قط أن يموت بالسم ؟..

رفعت :

لا أعتقد أنه راسبوتين .. هل السم ما زال صالحًا ؟.. بعض السموم تتلف بالتخزين ..

المرأة :

لا أعتقد أن هذا هو التفسير ..

رفعت :

هناك سؤال مهم هنا : لماذا تحتفظ امرأة رقيقة مدللة مثلك بزجاجة سم ؟.. لماذا تشعرين بهذا التوتر الذى يذكرنى بتأنيب الضمير ؟.. لماذا قلت : « ليست لدى خبرة بالموضوع فى الحيوانات .. » ؟.. هل لديك خبرة فى غير الحيوانات ؟

المرأة :

(صمت طويل)

رفعت :

هل تنوين الإجابة ؟.. لا أحد يعرف اسمك ولن نتمكن من متابعة المكالمة لأن كل تجاربنا السابقة فشلت كما تعرفين .. لابد أن تستعد مباحث التليفونات مسبقًا ..

المـرأة :

حسن .. إن اختلاف الجرعات مشكلة .. مثلاً استغرق الأمر ساعة مع (محمود) كى يموت بهذا السم الذى دسسته له فى الكفتة ، فهل تعتقد أن قط (محمود) يمكن أن يستغرق الفترة ذاتها ؟!!

رفعت :

الإجابة هى : لا أعرف .. ما لم يكن القط غير طبيعى فعلاً ..

(المرأة تضع السماعة على الفور)

شريف :

لقد قطعت المكالمة ..

رفعت :

بالطبع .. بدأ الأمر كشكٍ ثم بدأ يتراكم حتى صار يقينًا .. على كل حال أعتقد أن القط لن يموت بسهولة .. القط الذى يأكل كمية وافرة من السم ويظل حيًا ساعتين هو قط غير طبيعى .. بالتأكيد ليس طبيعيًا !

* * *

الحلقة العاشرة

فى غرفة نومى

تحكيها (هانم الخلفاوى)

الرعب المقترن بخزانة الثياب شهير جدًا لدى أية حضارة لديها خزانة ثياب .. إنها تمثل بابًا خلفه عالم مظلم مبهم ، ويقود إلى قلعتنا الخاصة التى نشعر فيها بالأمن : غرفة نومنا .. لاحظ أنك ستنام وتصير هشًا معدوم الحيلة ، فماذا عساه يخرج من تلك الخزانة ؟

شريف :

هذه حلقة أخرى من (بعد منتصف الليل) .. د. رفعت إسماعيل هنا وهو متأهب ومتشوق للرد على مكالماتكم ..

رفعت :

متأهب لكن غير متشوق لو شئت الدقة .. لا يمكن أن تصف المحكوم عليه بالإعدام الذى ينتظر أن تنفتح (الطبلية) تحت قدميه بأنه متشوق .. هو فقط متأهب جدًا ..

شريف :

سمعنا فى الحلقة السابقة قصة الطالبة التى تنظر لها خزانة الثياب كلما أدارت ظهرها .. تقول إن هذا الشعور قوى لدرجة أنها لم تعد تبدل ثيابها فى غرفة النوم .. هل تعتقد أن هذا ضرب من الهستيريا ؟

رفعت :

الهستيريا تفوح من كل حرف فى هذا الكلام .. قلت لها هذا فى الحلقة السابقة .. على كل حال، الرعب المقترن بخزانة الثياب شهير جدًا لدى أية حضارة لديها خزانة ثياب .. إنها تمثل بابًا خلفه عالم مظلم مبهم، ويقود إلى قلعتنا الخاصة التى نشعر فيها بالأمن : غرفة نومنا .. لاحظ أنك ستنام وتصير هشًا معدوم الحيلة ،

فماذا عساه يخرج من تلك الخزانة ؟ الأطفال فى الغرب يتحدثون عن رجل الخزانة ويعرفونه جيدًا .. على كل حال الشعور بالمراقبة أمر جوهرى فى العصاب ..

شريف :

على كل حال نحن بانتظار المكالمة الأولى، وكلنا أمل فى أن تكون شائقة .. ربما نستمع لأغنية فى هذا الوقت ..

(رنين الهاتف)

شريف :

أو ربما لا ..

صوت امرأة :

مساء الخير .. أنا (هانم الخلفاوى) .. ربة بيت ..

شريف :

مرحبًا بك ..

هانم :

سمعت برنامجكم .. الحلقة السابقة .. أنا مقيمة فى (الجيزة) .. والغريب أن المشكلة واحدة ..

شريف :

هلا أوضحت من فضلك ؟

هانم :

كنت قد فتحت خزانة الثياب لوضع الثياب الشتوية .. أنت تعرف أن أية ربة بيت تنهى موسم الشتاء بغسل الثياب الشتوية وطيها ، ثم تفتح خزانة الثياب لوضعها بعد أن تدس بين طياتها حبيبات (النفتالين) منعًا للعثة ..

رفعت :

للأسف لم أجرب هذا لأننى كنت بلا أسرة تقريبًا ..

هانم :

ألا تفعل المدام الشىء ذاته ؟

رفعت :

ليست لى مدام .. لا أدرى هل هذا خبر محزن أم مفرح ، لكنها الحقيقة .. بعض الرجال يعتبروننى عبقريًا والنساء يعتبرننى مجنونًا أو مريضًا .. هذا موضوع يطول شرحه .. المهم أن هذه من طقوس البيت المصرى .. هل لديك أبناء ؟

هانم :

نعم .. لدى (مروة) فى الصف الثانى الثانوى ، و(ريهام) فى الإعدادية ، و(سامى) فى الصف الخامس الابتدائى .. زوجى موظف ..

شريف :

جميل .. لكن دعينا نواصل لو سمحت ..

هانم :

إن خزانة الثياب من طراز عتيق .. ضخمة جدًا .. بها قسم علوى يصلح لوضع حقائب السفر والبطاطين والثياب التى لا تناسب الموسم ، وقسم سفلى للثياب المستعملة .. كنت أقف على أطراف أصابعى فوق الفراش وأنا أضع هذه الثياب .. ثم ..

رفعت :

يبدو وضعًا عسيرًا .. على كل حال أكملى قصتك ..

هانم :

كما قلت لك رحت أضع الثياب فى الركن العلوى .. هنا خيل لى أن شيئًا يتحرك هناك . معنى هذا شىء واحد كما تعلم : فأر ..

وأنا لست من الطراز الهستيرى الذى يملأ الشارع صراخًا لدى رؤية فأر .. أنا ربة بيت (جدعة) لذا أحضرت المكنسة ورحت أفتش بها هناك .. لا شىء .. هذا مؤكد ..

أنهيت مهمتى وتأهبت للانصراف .. لكن ذلك الشعور ظل يضايقنى .. هناك من ينظر لى عبر باب خزانة الثياب .. هناك من يراقبنى ..

جربت عدة مرات أن أنظر إلى الخلف فجأة ، لكنى كنت دائمًا أرى الباب موصدًا كما تركته .. شعرت بأننى مخبولة لا أكثر ..

كنت وحدى فى الدار فى ذلك اليوم ؛ لذا ذهبت إلى المطبخ أعد الطعام لكتيبة الجياع التى ستصل بعد قليل ..

عدت إلى غرفة النوم فوجدت أن باب خزانة الثياب موارب !.. أنا أعرف يقينًا أننى أغلقته ..

رفعت :

قمت طبعًا بحملة تفتيش أخرى ..

هانم :

نعم .. فتحت الخزانة وبحثت فى كل ركن .. لا شىء .. أغلقت الخزانة بإحكام وواصلت عملى فى البيت ، لكنى عندما عدت إلى غرفة النوم وجدت الباب مواربًا ..

رفعت :

لكن هذا لا يدل على شىء .. أبواب خزانات الثياب تنفتح لأسباب عدة .. النجارون ليسوا عباقرة أو معصومين ..

هانم :

على كل حال هناك مرآة تجميل فى الناحية الأخرى من الغرفة .. جلست أمامها متظاهرة بأننى أمشط شعرى ، بينما عينى لا تفارق خلفية المشهد التى تظهر خزانة الثياب بوضوح تام ..

ماذا تتوقع ؟.. رأيت الباب ينفتح ببطء .. فى البداية انفتح القسم العلوى ، ثم بدأ القسم السفلى ينفتح ..

التفت إلى الخلف بسرعة وبحركة درامية ، فانغلق البابان كأن شيئًا لم يكن ..

لو أردت الدقة لقلت إننى شعرت بأن هناك عينين تتوهجان فى ظلام الخزانة ، لكنى بالطبع لا أستطيع أن أؤكد ذلك ..

رفعت :

ولم تخبرى زوجك طبعًا ..

هانم :

ماذا أقول ؟.. إن تهمة الجنون تلاحق النساء أينما ذهبن .. أنا فتحت الخزانة وعرفت أنها خالية .. ماذا يمكن أن أضيفه لو اعتبرني زوجي مجنونة ؟.. لا شيء .. لقد ابتلعت ما رأيت ابتلاعًا وكتمته .. فقط جلست في الغرفة طويلاً أقرأ القرآن .. كنت أعرف يقينًا أن الأمر لا يتعلق بمفصلات تالفة أو وضع مائل للخزانة .. هذا لم يحدث من قبل طيلة سنى زواجى ، فلماذا يحدث الآن ؟

رفعت :

لابد من بداية لكل شيء .. لكن يبدو أن الأمر لم يتكرر ؟

هانم :

عم تتحدث ؟.. عندما جاء الليل رقد زوجى وغاب فى نوم عميق .. إنه دائمًا مرهق شقيان كأننى أقضى يومى فى اللعب مع القطط الصغيرة .. تعالى شخيره ومع الشخير شعرت بذلك الشعور الممض بأننا لسنا وحدنا .. كانت خزانة الثياب تقع إلى ناحيته من الفراش والمرآة إلى ناحيتى .. الظلام يعم الحجرة لكن هناك قبسًا خافتًا من الصالة .. مصباح واهن كالعادة ..

رفعت :

تلك (السهرية) اللعينة .. المصباح الخافت الذى يصر الناس على إيقاده فى الصالة ويجعل الدماء تجف فى عروقك .. أنا أعتقد أن الظلام المطلق المسطح أكثر بعثًا على الاطمئنان ..

هانم :

فى هذا الضوء الخافت الأصفر كنت أرى انعكاس خزانة الثياب فى المرآة وأنا راقدة على جنبى مفتوحة العينين وظهرى لزوجى .. بين النوم واليقظة رأيت الباب ينفتح فى بطء ..

هكذا وثبت جالسة ونظرت إلى خزانة الثياب خلف ظهر زوجى النائم فرأيتها مغلقة ..

رفعت :

هذا أسلوب روايات الرعب البريطانى .. الرعب خارج مجال الرؤية .. الرعب الذى لا يحدث أمامك بشكل واضح أبدًا ..

هانم :

لهذا تعتقد فى كل لحظة أنك تخرف .. على كل حال عدت إلى النوم على جانبى وأنا أنظر إلى المرآة فى ثبات .. لو كان هناك شيء فسوف أظل ساكنة حتى أراه .. فى الضوء الخافت الذى

لا يظهر شيئًا تقريبًا بدا لى أننى أرى فتاة تخرج من الخزانة .. فتاة مدثرة فى الظلام .. تنظر لزوجى ولى .. تقف جوار الفراش للحظات ، ثم تتراجع بظهرها لتغيب فى الخزانة من جديد ..

كان قلبى يوشك على أن يثب من فمى ، لكنك بالتأكيد لاحظت أننى قوية الأعصاب ؛ لذا فقد أضأت الغرفة فتململ زوجى ومضغ شيئًا ما .. ركضت إلى خزانة الثياب وفتحتها .. لم أجد شيئًا سوى الثياب المعلقة إياها .. أزحتها جانبًا ورحت أفتش .. لا .. لم يكن هناك ظهر متحرك للخزانة ولا باب سرى ..

وكان تقديرى للموقف أننى جننت أو أن هناك (بسم الله الرحمن الرحيم) ..

رفعت :

بطبيعة الحال ملت للرأى الثانى ..

هانم :

بالطبع .. يحتاج المرء إلى جهد كبير حتى يشك فى قواه العقلية ، وقد احتفظت بصمتى على كل حال ، إلى أن حدث بعد ثلاثة أيام أننى ظللت أعمل بعد ما نام الجميع .. كان زوجى قد أحضر طنًا من السمك البلطى الذى لا يمكن حفظه فى الثلاجة من دون تنظيف .. انتهيت من عملى فى الثانية بعد منتصف الليل ..

دخلت غرفة النوم لأنام عندما وجدت الخزانة مفتوحة .. لم أوقد النور ومشيت نحوها حثيثًا ..

رفعت قدمى وخطوت إلى الداخل .. وقفت بين الثياب المعلقة .. هنا أدركت لشدة ذعرى أنه لا يوجد ظهر للخزانة .. يمكننى أن أدخل بلا نهاية ..

تقدمت وأنا أتحسس طريقى إلى الداخل مدركة مدى غرابة وسخف موقفى .. لكن العالم الذى عبرت إليه كان مظلمًا تمامًا .. لا أرى أى شىء . فقط تعثرت فى شىء طرى على الأرض فأوشكت على السقوط .. إنه جسد .. صرخت .. هنا سمعت صرخة مماثلة عالية وانغرست مخالب فى وجهى ..

لا أعرف كيف تمكنت من العودة إلى داخل خزانة الثياب وخرجت منها متلاحقة الأنفاس ..

ما رأيك يا د. رفعت ؟.. أنا لن أستطيع المبيت فى الشقة يومًا واحدًا بعد اليوم ..

شريف :

نفس قصة الأسبوع السابق تقريبًا .. هل نحن نعانى وباء خزانات الثياب المفتوحة ؟

رفعت :

القصة السابقة كانت من الجيزة كذلك .. أليس كذلك ؟

شريف :

بلى .. وما معنى هذا ؟

رفعت :

قبل أن تكملى .. هل أنت واثقة من أن (مروة) ابنتك ليست هى الطالبة التى اتصلت بنا الأسبوع الماضى ؟

هانم :

نعم ؟.. فتاة الأسبوع الماضى كان اسمها (غادة) ..

رفعت :

الأسماء لا تدل على شىء .. كل من اتصل بنا كان له اسم مستعار .. أتكلم عن الصوت ..

هانم :

بينى وبينك .. لا أعتقد .. ربما لو سألتها .. أنا كنت جوار المذياع ولم تكن أمامى وقتها .. ربما كانت فى غرفة الجلوس تتصل بكم ؟.. من الوارد أن تغير نبرات صوتها ..

رفعت :

تلك الفتاة كانت تشكو من شعورها بأن الخزانة تراقبها .. فى ذات ليلة شعرت بأن هناك بابًا مفتوحًا عبرت منه إلى عالم مظلم .. فجأة شعرت بأن شبح امرأة يوشك على الانقضاض عليها ففرت .. فى مرة أخرى فوجئت بامرأة تخرج من خزانة الثياب وتصرخ .. فصرخت بدورها وغرست أظفارها فى وجهها ..

هل لى أن أعرف إن كانت ابنتك اعتادت النوم على الأرض ؟

هانم :

نعم .. الفراش مخصص لـ (ريهام) و(سامى) .. (مروة) تفضل النوم على الأرض ، إلى أن ننتهى من تخصيص غرفة لـ (سامى) ..

رفعت :

وخزانة الثياب فى غرفة الأطفال تستند على نفس الجدار ..

هانم :

لا .. هناك خزانة لكنها لا تستند إلى الجدار ذاته ..

رفعت :

يمكن القول بسهولة إنك كنت فى الظلام .. لم تعرفى أن هذه غرفة أبنائك .. وأن من خطوت فوقها على الأرض هى (مروة) .. (مروة) بدورها تعانى رعبًا هائلاً من خزانة الثياب .. لا تعرف أن المرأة التى خرجت من خزانة ثيابها فى الظلام هى أمها ..

شريف :

رفعت .. هى أنكرت أن يكون الجدار مفتوحا فى ظهر خزانة الثياب ..

رفعت :

من تحدث عن فتحة ؟.. الأمر يتعلق بفجوة مكانية تتحدى القوانين الفيزيائية .. خزانة الثياب هى بوابة هذه الفجوة .. والفجوة تنقلك من خزانة الأم إلى خزانة الأبناء .. مروة كانت تشعر أن الخزانة تراقبها .. نفس الشىء مع الأم ..

شريف :

كلام صعب التصديق .. وما سبب هذه الظاهرة لو صح كلامك ؟

رفعت :

شىء أضيف إلى خزانة الثياب مؤخرًا .. شىء استجد .. هل أنت واثقة من أن الثياب الشتوية لم تكن تحتوى تعويذة ما ؟

هانم :

بالطبع لا .. لكن انتظر .. من السهل أن نتأكد من نظريتك .. إن مروة لم تنم بعد .. مروة .. هل اتصلت ببرنامج إذاعى الأسبوع الماضى ؟.. خذى السماعة وكلمى عمك د. رفعت ..

مروة :

آلو ؟.. من ؟

رفعت :

برنامج (بعد منتصف الليل) يا مروة لو كان هذا اسمك الحقيقى .. هل كنت أنت ضيفة الحلقة السابقة ؟

مروة :

لا أفهم شيئًا .. لم أعرف أن هناك برنامجًا بهذا الاسم ، وبالتأكيد لم أتصل .. هل لى أن أفهم ؟

شريف :

شكرًا يا مروة .. سوف تفسر لك الوالدة كل شىء . أرجو أن تعطيها السماعة ..

مروة :

إنها ليست هنا .. لقد هرعت مسرعة إلى غرفة النوم ، كأنها سمعت صوتًا ما من هناك .. سوف أناديها لك ..

شريف :

هكذا تنتفى نظرية الفجوة هذه .. بينى وبينك هى نظرية غريبة ..

!

رفعت :

ما زلت أعتقد أنها فجوة تقود إلى مكان ما .. ربما عالم ما .. فقط هى لا تقود لغرفة نوم الأولاد ..

شريف :

ولماذا انفتحت ؟

رفعت :

من خبرتى مع (جانب النجوم) أعرف أن هناك فجوات تظل مغلقة إلى أن يقرر شيطان ما أن يوسعها ويخترقها إلى عالمنا .. لا أعنى أنها فجوة تقود لجانب النجوم ، لكنها شىء شبيه ..

شريف :

والأدهى أن تكون هناك أكثر من فجوة فى الجيزة بالذات .. إن كلام الطالبة فى الحلقة السابقة لا يفارق مخيلتى ..

مروة :

د. رفعت !.. أمى ليست فى غرفة النوم .. ليست فى البيت كله !.. فقط خزانة الثياب مفتوحة وبداخلها أحد خفيها !.. لم أجد الخف الآخر .. ما معنى هذا الذى يحدث ؟.. بالله عليك قل لى !.. د. رفعت .. لماذا لا تتكلم ؟!!!

* * *

الحلقة الحادية عشرة

أكواريوم

يحكيها (سامح)

فقط حوض الأسماك المضىء كالعادة والأسماك تنظر لى فى حيرة .. لقد رأت كل شىء .. تعرف كل شىء لكنها لا تعرف كيف تشرح لى ..

شريف :

هذا برنامجكم (بعد منتصف الليل) .. اليوم نحتفل بالحلقة الخمسين من البرنامج .. خمسون حلقة قدمنا فيها عشرات القصص المرعبة .. فبعض الحلقات كان يضم مكالمتين أو ثلاثة ..

رفعت :

وبعض الحلقات لم يحدث فيه شيء على الإطلاق .. فقط مكالمات خاطئة ومعاكسات .

شريف :

على الأقل هذا يدل على الأصالة .. لو كان البرنامج مرتبًا من قبل لكان فى دقة الساعة .. على كل حال نحن فى انتظار أول مكالمة للحلقة الخمسين ، وقصتك ستكون هى وقود آلة الرعب حتى لا تتوقف أبدًا ..

(رنين الهاتف)

شريف :

آلو .. برنامج بعد منتصف الليل ..

صوت طفل :

أنا (سامح) ..

شريف :

يبدو أن هذا واحد من الصغار الذين لا ينامون ويشكوننا بلا انقطاع لأننا مرعبون .. هل معك واحد كبير ياصغيرى العزيز ؟

سامح :

لا .. كلهم ناموا ..

رفعت :

فى العادة عندما يتصل طفل ، يكون السبب تافهًا إلى درجة أن تصاب بنزف مخى ، أو مرعبًا إلى درجة تجعل قلبك يتوقف !

شريف :

هذا صحيح فعلاً .. لم نتلق مكالمة من طفل إلا وتندرج تحت واحدة من هاتين القائمتين .. ذروة التفاهة أو ذروة الرعب .. ربما هناك قائمة ثالثة هى قائمة الكذب .. الأطفال يحبون الكذب جدًا وكذبهم مقنع دائمًا لأنه يأتى من حيث لا نتوقعه .. كم سنك يا صغيرى ؟

أنا فى التاسعة ..

شريف :

جميل .. جميل .. الصف الثالث الابتدائى ما لم يكن متخلفًا عقليًا .. هل تعرف ما هو هذا البرنامج يا سامح ؟

سامح :

نعم .. لا تعاملنى كطفل من فضلك .. أكره طريقة (برافو) و(هل أنت مجد فى المدرسة ؟) هذه .. هذا البرنامج يناقش القضايا المخيفة بالمشاركة مع د. (رفعت إسماعيل) .. أنا أعرف ما أفعله .. صدقنى .. تأكد من أنك لن تلقى طفلاً فى ذكائى وثبات أعصابى مهما حاولت ..

شريف :

هذا واضح .. آسف يا عم سامح .. قل لى ما يضايقك ..

سامح :

لقد نجحت فى الامتحان وكانت أمنيتى حوض أسماك زينة .. صحيح أن عندى كلبًا لكنه لم يعد يسلينى .. وعدنى أبى بالحوض وابتعته معه منذ ثلاثة أيام .. حوض كبير جميل به عدة أسماك رائعة .. الفانتيل وسمكة السيف والمولى وسمكة القط .. كان هناك مقاتل سيامى لكنه مات فى نفس اليوم ..

شريف :

هذا محزن ..

سامح :

صرت أقضى أكثر وقتى أمام هذا الحوض .. أنا أكلمك وهو أمامى الآن .. أحب هذه الإضاءة الخافتة عندما تكون الغرفة مظلمة .. ألوان السمك جميلة فعلاً ..

رفعت :

لكن هذا ليس مرعبًا على قدر علمى ..

سامح :

أمى تكره السمك وتقول إنه كائن مقزز .. تقول إن للحوض رائحة كريهة أفسدت جو البيت ..

رفعت :

كل الأمهات لهن رأى سلبى فى أى شىء يحبه الأطفال .. الشيكولاته تتلف أسنانك .. البلل بالماء يسبب لك الالتهاب الرئوى .. لعب الكرة يتلف الثياب .. القطط الصغيرة تجلب الأمراض .. باختصار : كل ما يحبه الأطفال مؤذ كريه .. والعكس صحيح طبعًا ..

شريف :

فعلاً .. أعتقد أنها رغبة خفية فى التدخل فى كل شىء .. لا تقبل الأم أن يمارس الطفل حياة هى ليست فيها ..

رفعت :

مع الرغبة فى الشعور بالأهمية .. ذلك الشعور اللذيذ بأن الحياة ستفسد والشهب ستهوى لتحرق المدن الآمنة لو لم نكن موجودين .. عرفت مديرين يتغيبون عن العمل لبضعة أيام ، ثم يستشيطون غيظًا عندما يكتشفون أن كل شىء كان يسير بدقة الساعة فى غيابهم .. هذا يثير جنونهم ..

شريف :

نعم .. لا يرضيهم إلا أن يعودوا ليجدوا أن الخراب عم كل شىء ..

رفعت :

كذلك الآباء .. معظم الأمهات يشعرن بضيق خفى لو سافرن وعدن فوجدن أن أبناءهن بخير .. هن لا يقلن هذا صراحة ، لكنك ترى لمسة خيبة أمل على وجوههن كأن ..

سامح :

هل الحلقة مخصصة لسماع كلامكما ؟.. إذن لماذا تكلفان الناس مالاً وجهدًا ؟

رفعت :

هذا صحيح .. معك حق .. كنا نتكلم عن حوض السمك ..

سامح :

نعم .. نعم .. حوض السمك الذى أقف أمامه الآن .. يوم ابتعناه نام الجميع ، لكنى نهضت من غرفة نومى ليلاً لأقف أمامه فى الظلام .. مع الوقت شعرت بأننى داخله فعلاً ، وشرعت أسبح مع الأسماك وأناور معها .. هناك قلعة . هناك سفينة قراصنة غارقة ..

رفعت :

كل هذا جميل ..

سامح :

ليس تمامًا .. كانت هناك تلك السمكة من طراز (سمكة القط) التى تعابث الحصى فى قاع الحوض .. يبدو أنها تهوى الحفر .. هكذا بدأت طبقات الحصى تنزاح جانبًا ورأيت .. رأيت ذلك الإصبع البشرى ذا الظفر المسود ..

شريف :

ماذا ؟.. أنت رأيت إصبعًا ؟

سامح :

نعم .. ليس إصبعًا بل ما يبدو أنها يد كاملة مدفونة تحت طبقات الحصى .. لقد أحضرت شبكة السمك ورحت أحاول كشف

الحصى أكثر .. نعم هى يد مبتورة .. لا شك فى هذا .. صحيح أنها منتفخة أتلفها الماء لكن لا شك فى طبيعتها .. هناك خاتم صدئ حول الإصبع . إنها لامعة ملساء تشعر بأنها لزجة ..

رفعت :

ظاهرة اسمها التصبن الرمى .. يتحول الجسم إلى ما يشبه الصابونة الزلقة .. هذا يحدث للأجسام التى تغمر تحت مياه باردة ..

شريف :

أنتما مجنونان .. طفل يجد يدًا مبتورة فى حوض السمك فيصف المشهد بدقة ، وعجوز لا يهتم سوى بالتفسير العلمى للموضوع !

رفعت :

أعتقد أن وقت الصراخ انتهى وحان وقت الفهم .. أمقت الناس الذين يجدون كفًا فى حوض السمك ، فيضيعون الوقت فى الهستيريا ..

سامح :

نعم . نعم .. لقد بكيت كثيرًا وارتجفت ..

رفعت :

لا ألومك ، لكن لا تقل لى إنك لم تخبر الكبار .. هذا يفوق طبائع الأمور ..

سامح :

قلت لأبى لكنه لم يصدق ، وقد مد شبكة السمك وراح يعبث فى الحصى بعض الوقت فلم يجد شيئًا غريبًا .. أنا متأكد من أنه بحث فى ذات الموضع .. ثم قال لى إنه من الخطأ بعثرة حصى الحوض ، وإن الفرصة قادمة بعد أشهر عندما نقوم بتغيير الماء .. أما الآن فلا مجال للهلاوس ..

أمى لم تصدق طبعًا .. نسيت أن أخبرك أننى واسع الخيال وأؤلف قصصًا كثيرة .. لهذا لم يصدقنى أحد ..

شريف :

أرجو ألا تكون هذه القصة من ضمن أعمالك الإبداعية !

سامح :

لا .. لكنى لا أستطيع أن أثبت كلامى .. إما أن تصدقنى أو لا ..

رفعت :

واضح أنك رأيت هذه الكف مرة أخرى ..

سامح :

نعم .. بعد يوم رأيتها وكانت فى موضع مختلف تمامًا .. هل تعتقد أنها تمشى ؟

رفعت :

لا .. لا أعتقد .. الشىء الميت يظل كذلك لو أردت رأيى .. لكن دعنا نرتب أفكارنا .. هل أنت متأكد من أن هذه اليد ليست ضمن زينة الحوض ؟.. ربما هى شكل تجريدى عجيب للزينة ، أو هى شعبة مرجانية غريبة الشكل ..

سامح :

لو لم أعرف شكل اليد البشرية فأنا أبله .

شريف :

إذن .. لو لم تكن كذابًا تتسلى علينا ، فالقصة هى أن من باع لكم الحصى وهو طبعًا بائع أسماك الزينة وضع هذه اليد دون أن يدرى .. فهل يعرف صاحب اليد ؟

سامح :

إنه مجرد متجر صغير .. يبدو أن صاحبه صديق أبى .. اسمه (صالح) ولا يبدو من هذا النوع ..

رفعت :

لا أعرف كيف يبدو الذين من هذا النوع ، لكن يحتاج التصبن الرمى من ثلاثة أسابيع إلى ستة أشهر ..هذه اليد فى الماء منذ

تلك الفترة ، وهذا ينفى أنها كانت ضمن حصى الحوض .. هذه اليد كانت مغمورة فى الماء منذ زمن ..

شريف :

والتفسير ؟

رفعت :

لا تفسير عندى الآن .. لكن هذه من مزايا التصبن الرمى .. كل شىء يظل سليمًا يمكن فحصه .. لربما استطاع رجال الشرطة معرفة الكثير عن صاحب اليد .. كل أصابع الاتهام تشير إلى صاحب متجر السمك .. هذه اليد كانت عنده مغمورة بالماء وقد قرر التخلص منها ..

سامح :

المشكلة هى أننى لا أجد اليد أمامى الآن .. لحظة حتى أقلب الحصى أكثر .. أقلب .. أقلب .. لقد صار الحوض كأن عاصفة رملية هبت عليه .. لكن .. بالفعل لا أجدها ..

رفعت :

ابحث فى القلعة أو السفينة الغارقة .. أنت تعرف أن قاع تلك الأحواض ، يكون مزدحمًا ..

سامح :

لا .. نحن لا نفتش عن حصوة .. لا يوجد شىء ..

رفعت :

هذا جميل .. على الأقل أنت تخلصت من المشكلة .. لا أعتقد أن الأطفال يصابون بهستيريا لكنك طفل غير عادى ..

شريف :

هل عندك خبرة بشىء مشابه ؟

رفعت :

لم أجرب كثيرًا التعامل مع الأيدى المبتورة ، فقط لى قصة واحدة منذ عامين مع يد قاتل ممسوس اسمه (بيزارو) .. كان هذا المجنون إيطاليًا مولعًا بخنق الناس ، ويبدو أنه كان مصابًا بلعنة من لعنات القرون الوسطى تلك . وخلال صراع بيننا بترت يده اليمنى وألقيتها فى النهر . وكانت النتيجة هى أن الرجل عاد بشريًا ولم يخف امتنانه لى من أجل تحرير إرادته ، بينما اليد جاءت فى حقائبى إلى مصر وراحت تطاردنى مثبتة أن لها إرادة خاصة بها .. كانت تنوى الانتقام منى فى يوم ثلاثاء ، وهو يماثل اليوم الذى وقعت فيه الواقعة .. وكانت تعرف عنوان البيت .. يا لها من ذكريات جميلة !

شريف :

قصة مفزعة .. وكيف تخلصت منها ؟

رفعت :

شىء يشبه ما يقومون به للتخلص من القط .. أغريتها بدخول صندوق ، ثم قمت بإلقائها فى مياه البحر فى الإسكندرية ..

شريف :

هل تعرف ما أفكر فيه ؟..

رفعت :

نعم .. تفكر فى أننى أكذب ..

شريف :

لا .. أفكر فى إمكانية أن تكون هذه اليد تحررت .. عاشت فى قاع البحر أو على الشاطئ ، ومضت تزحف بين الرمال .. وجدت طريقها إلى صندوق رجل يجمع المحار والقواقع من على الشط من أجل أحواض سمك الزينة .. فى المتجر تمكنت من دخول هذا الحوض بينما صاحبه يعده للمشترى الجديد .. المشترى الذى هو أبو (سامح) .. توارت هناك بين طبقات الحصى تنتظر ..

رفعت :

فكرة رهيبة لكنها عسيرة التصديق ..

شريف :

هذا هو الحل الوحيد .. لا أتصور أن يقوم رجل بإعداد حوض سمك من دون أن يلاحظ يدًا وسط الحصى .. كما قال (سامح) : اليد ليست حصوة .. لا يمكن ألا تراها . أعتقد أنه سيكون غريبًا أن توجد يدان حيتان فى مصر فى الوقت ذاته .. نحن نتكلم عن ذات اليد غالبًا ..

سامح :

د. رفعت ! . لقد وجدتها !.. إنها فى ركن الحوض عند طرفه العلوى .. تحاول التسلق والخروج لكن الزجاج زلق لهذا تسقط فى كل مرة ..

رفعت :

سوف تتمكن من الخروج .. لو كانت هى يد (بيزارو) فعلاً فسوف تتمكن من الخروج .. (سامح) .. لا أجد حلاً سوى أن تخبر أباك بكل شىء .. تضعان هذه اليد فى صندوق محكم وتتخلصان منها فى مكان جاف يستحيل أن تجد البلل فيه .. من

الواضح أنها تنتعش كلما وجدت الماء .. لم أكن أعرف هذا عندما ألقيتها فى النهر ، ولا عندما تخلصت منها فى البحر . الآن يبدو الحل منطقيًا واضحًا .. خذ الحذر !.. إنها أقوى مما تظن ، وهى قادرة على خنقك أو تمزيق وجهك فى أية لحظة .. إنها تثب كالعناكب !

سامح :

لا وقت لهذا .. لقد خرجت فعلاً !.. أزاحت الغطاء وانسلت من تحته .. مبللة يسيل منها الماء وتزحف على المنضدة ..! د. رفعت !.. ماذا أعمل ؟

رفعت :

اجر !.. أغلق عليها الحجرة واجر بسرعة !..

سامح :

إن سلك الـ .. سلك الهاتف طويل .. سوف ..

(صوت نباح) :

إن كلبى (روى) قد شعر بها .. إنه شرس جدًا وها هو ذا يهاجمها .. إنه فى حالة غير طبيعية .. يبدو أنها أثارت هلعه ..

رفعت :

لا بأس .. قد يكون هذا هو الحل .. لكن لا تنتظر .. اخرج وكلمنى من غرفة أخرى !

(صوت نباح يستمر ثم ينقطع)

سامح :

لقد أغلقت الباب .. لحسن الحظ أن أحدًا فى الشقة لم يسمع كل هذا الصخب .. نومهم ثقيل جدًا وباب الغرفة مغلق .. لقد توقف النباح .. أعتقد أنه مزقها إربًا ..

شريف :

لا بأس بإلقاء نظرة لكن كن حذرًا .. لتر إن كان (بوى) هذا قد ..

رفعت :

روى .. اسمه (روى) .. لا يوجد كلب ذكر إلا واسمه (روى) ، ولا توجد كلبة إلا واسمها (توسكا) .. هذا هو القانون ..

شريف :

هلم !.. انظر ماذا حدث ..

سامح :

المكان هادئ و ... ولكن .. أين (روى) ؟.. د. رفعت !.. إنه راقد فى ركن الغرفة المظلم !.. لقد تحطم عنقه !.. لقد مات !

رفعت :

ماذا ؟.. وأين اليد ؟

سامح (يبكى بكاء طفل صغير) :

لا أثر لها !.. لا أثر لها يا د. رفعت .. فقط حوض الأسماك المضيء كالعادة والأسماك تنظر لى فى حيرة .. لقد رأت كل شيء .. تعرف كل شيء لكنها لا تعرف كيف تشرح لى .. هه ؟.. لقد انغلق باب الغرفة علىّ !!!.. من أغلقه ؟.. د. رفعت .. أنا خائف .. خائف !

* * *

الحلقة الثانية عشرة

زنزانة خريولسن

يحكيها (نيازى إبراهيم)

كلامى اليوم عن باب .. هذا الباب الذى أتحدث عنه لم يكن فى مصر .. لم يكن فى مكان تعرفه .. الباب الذى أتحدث عنه لم يكن بابًا خشبيًا أو حديديًا ، بل كان أقرب إلى جدار سميك يُهدم ولا يُفتح .. لكن الناس هناك كانوا يسمونه بابًا ..

شريف :

صباح الخير .. كما تعرفون هذا برنامجكم (بعد منتصف الليل) .. نحن بانتظار مكالماتكم التى تحكى لنا عن خبراتكم المروعة ..

رفعت :

إن مكالماتكم هى وقود آلة الرعب التى نريد لها ألا تتوقف أبدًا ..

(رنين الهاتف)

رفعت :

هذا حظ حسن أكثر من اللازم ..

شريف :

آلو .. مساء الخير يا سيدى ..

صوت رجل :

أنا (نيازى إبراهيم) .. أدرس التاريخ فى كلية آداب (....) ..

رفعت :

مرحبًا بك ..

نيازى :

أنا مثلك يا د. رفعت درست فى إنجلترا .. فى (ويلز) بالذات .. كانت لى خبرة غير مألوفة مع عوالم ما وراء الطبيعة ، وهى خبرة مخيفة بحق لدرجة أننى أجد صعوبة فى بدء النوم منذ ذلك الحين ..

رفعت :

جميل .. جميل .. هذا ما نريده ..

نيازى :

كلامى اليوم عن باب .. هذا الباب الذى أتحدث عنه لم يكن فى مصر .. لم يكن فى مكان تعرفه .. الباب الذى أتحدث عنه لم يكن بابًا خشبيًا أو حديديًا ، بل كان أقرب إلى جدار سميك يُهدم ولا يُفتح .. لكن الناس هناك كانوا يسمونه بابًا ..

كان هذا فى كهف قرب قرية فى (ويلز) ..

كان الناس يمرون جوار الكهف ، ويتحدثون عن (خريولسن) الحبيس هناك ..عن الساحرة التى أنجبته .. والتى أعدمتها محاكم التفتيش هناك .. وكيف دفنوها فيما يعرف بزنزانة (خريولسن) ..

رفعت :

أشعر أن القصة مألوفة .. (خريولسن) ؟.. هل أنت متأكد ؟

نيازى :

بالطبع لا يوجد عندهم حرف خاء ، لكن النطق العربى ينطق حرفى KH تلقائيًا بهذه الطريقة ..

رفعت :

المشكلة أننى كنت هناك !

نيازى :

هذا عجيب .. أنت من دون غيرك يا دكتور ؟.. وفتحت الجدار ؟

رفعت :

نعم .. ورأيت ما وراءه ..

نيازى :

إذن توافقنى على أن هذه أشنع خبرة واجهتها فى كل حياتك .. أحمد الله على أننى سأموت فتموت هذه الذكرى معى .. رأيت كل شىء ؟.. حتى الـ ...؟

رفعت :

لا تقل من فضلك .. دعنا نصغ إلى باقى قصتك لنرى إن كانت تختلف عن خبرتى ، لكن لا تصف أى شىء .. فقط أعط انطباعًا عامًا .. أكرر : هذا خطر جدًا ..

نيازى :

عندما احترقت الساحرة أنذرت الناس بأن ولدها (خريولسن) سيعود بعد أعوام حين يفتح الزنزانة رجل أجنبي .. وما لم ينسه أحد هو أن المصائب لم تفارق القرية لحظة طيلة عمرها المديد ..

وبعد أعوام جاء مغامر إلى الكهف .. كان هذا بريطانيًا يدعى د. (هنرى لستر) .. فتنته الأسطورة وصمم على أن يجد رجلا أجنبيًا يفتح تلكم الزنزانة ..

كانت فكرته أن يناول الضيف المطرقة ، ثم يطلب منه أن يفتح الجدار بنفسه لأنه ضيفهم ..

طبعًا ما كان الضيف الأحمق ليعلم أنه أول دم أجنبى يدخل الكهف منذ سبعة أجيال .. حقًا لم أتصور أننى كنت هذا الضيف .. إن معلوماتى تقول إن ......

رفعت :

نعم .. نعم .. من يتكلم يدفع الثمن ..

نيازى :

دعك من هذا الهراء .. إننى ..

(صوت ارتطام بالأرض ثم صوت فحيح وحشرجة . ثم صمت)

شريف :

د . نيازى .. هل أنت معنا ؟

رفعت :

لا تتعب نفسك .. لو كان صادقًا بصدد هذه الزنزانة فمن المستحيل أن يكون معنا .. الشىء الوحيد الذى أنقذنى كل هذه الأعوام هو أننى لم أجد الفرصة لاستكمال تلك القصة اللعينة قط ..

شريف :

هذا يعنى أن الحلقة انتهت ..

رفعت :

بالضبط ..

شريف :

وسوف نسمع غدًا عن وفاة مدرس بكلية الآداب بنوبة قلبية ؟

رفعت :

على الأرجح لو لم يكن الخط قد انقطع فحسب .. لا يمكن أن تلوم الرجل على أنه مات وأفسد عليك الحلقة ..

شريف :

وهل تنوى أن تحكى لنا ما رأيته هناك ؟

رفعت :

فى آخر لحظة فى حياتى وعندما أوقن بالموت سأفعل .. ليس قبل ذلك .. صدقنى ..

* * *

الحلقة الثالثة عشرة

موهبتى

تحكيها (رانية محمود)

حاولت إقناعهم فلم يقتنعوا .. ثم وجدت أن هذا يعطينى مزية لا شك فيها ومن الخسارة أن أفسدها بأن أخبر بها الجميع .. هذا سلاح سرى فلأبقه فى جيبى ..

شريف :

هذه حلقة جديدة من برنامجكم (بعد منتصف الليل) .. وصلتنا مكالمات عديدة الأسبوع الماضى تطالب بتقديم موعد البرنامج قليلاً ؛ لأن هذا الموعد يتوافق مع نوم الكثيرين .. فى الحقيقة لو قدمنا البرنامج قبل منتصف الليل ، لما صار اسمه (بعد منتصف الليل) .. نحن هنا نبحث عن الليل .. عن السكون .. عن صوت المذياع الهادئ الذى تسمعه وحدك فتشعر بأنه يكلمك أنت ..

رفعت :

الرعب كائن ليلى .. عندما تسمع قصة مرعبة ظهرًا تبدو لك سخيفة .. (لافكرافت) نفسه قالها .. أعتقد أن سادة الرعب القوطى مثل (ستوكر) و(والبول) ما كانوا ليحققوا نجاحهم فى عصر الكهرباء . تصور سماع قصة (دراكيولا مصاص الدماء) جوار المدفأة ليلاً والعواصف تزأر بالخارج .. لابد أنها منحت رجفة ممتازة للكثيرين ..

شريف :

يقولون لنا كذلك إن نسبة الذين يلقون حتفهم أثناء المكالمات صارت عالية .. أربعة موتى كل شهر .. هذا كثير ..

رفعت :

هذا شـىء مهم فى هذه المكالمات .. الضحية يكلمك وأنت عاجز عن مساعدته أو عمل شىء .. وأنت تدرك أن ما يحدث له يحدث فى الوقت الحقيقى .. فى هذه اللحظة بالذات .. هذا شـىء مخيف ..

(رنين الهاتف)

شريف :

أعتقد أن هذه مكالمتنا .. آلو ..

صوت فتاة :

مساء الخير .. أنا رانية محمود .. تخرجت فى كلية التجارة .. أبى نحات شهير لكنى لن أذكر اسمه ..

رفعت :

مرحبًا يا رانية ..

رانية :

أعتقد أنك تؤمن بالقدرات الخارقة .. أنا أملك قدرة خارقة لم أسمع عن شخص امتلكها من قبل .. لم أسمع عنها أصلاً ..

رفعت :

وما هى ؟

رانية :

أنا أرى الهالات الحيوية المحيطة بالناس .. قرأت عن تصوير (كيرليان) وعرفت أن الناس تنبعث منهم أشياء كهذه ، لكنى أراها بعينى المجردة .. كنت فى الثالثة عشرة من عمرى عندما رأيت هذا .. فى البدء أصابنى الهلع ، ثم عرفت معنى ما أراه ..

رفعت :

كيف ترين هذه الهالات ؟

رانية :

كيف تبدو الهالات ؟.. تبدو كهالات !.. فقط لونها يتغير حسب مزاج الشخص .. عندما تكون زرقاء أعرف أنه هادئ .. المزاج المتعكر يجعل لونها قرمزيًا أو أحمر .. المرض يجعل لونها أصفر أو أخضر .. مثلاً قابلت صديقة لى كانت فى أحسن رونق لها ، وكانت مرحة متأنقة .. لكنى رأيت تلك الهالة بلون أخضر لذا سألتها عما إذا كانت مريضة .. قالت لى إنها تشعر بتوعك شديد وإن برازها مدمم ، لكنها صممت على أن تبدو بحالة طيبة ..

عندما مرضت جدتى قال جميع الأطباء إنها ستشفى من النوبة القلبية ، لكنى دخلت الغاية المركزة لأراها فوجدت بقايا هالة خضراء تشحب ببطء حولها . خرجت وقلت لأمى إن جدتى لن تعيش ، وقد لامتنى واغتاظت منى ، لكن جدتى لم تعش حتى المساء ..

رفعت :

لا شك أنها موهبة مفيدة بشدة ، لكنها ككل المواهب التى تزيد من حساسية المرء تجعل الحياة صعبة . ذو السمع المرهف أكثر من البشر العاديين يجن بعد فترة .. الصمم يسبب البارانويا على فكرة .. الأصم يعتقد أن كل الناس يسخرون منه أو يتآمرون ضده .. هذا يدلك على أن الله أعطانا القدر الكافى الصحيح من الحواس .. زيادة الحواس تقود للجنون .. نقصها متعب ..

رانيـة :

هذا صحيح .. من العسير أن تعيش وسط هـذا المهرجـان من الألوان .. الأسوأ هو تلك الحساسية التى تجعلنى أميز الكاذبين بسهولة ، وهذا يزيد الأمر خطورة .. لن تصدق كون قابلية الانخداع نعمة حتى تعيش ما عشته أنا ..

رفعت :

هل يعرف ذووك بهذه الموهبة ؟

رانيـة :

حاولت إقناعهم فلم يقتنعوا .. أبى فنان متفتح الذهن ، لكنـه ليس على استعداد لقبول كلام كهذا .. ثم وجدت أن هذا يعطينى مزية لا شك فيها ومن الخسارة أن أفسدها بـأن أخبر بها الجميع .. هذا سلاح سرى فلأبقه فى جيبى ..

كان هذا إلى أن ظهر (عصام) فى كليتنا ..

رفعت :

اسمه يوحى بقصة حب ..

رانيـة :

ولا حتى قصة مدينتين .. هو مجرد شاب صموت غريب الأطوار ظهر فى الكلية فى السنة الأخيرة .. لسبب ما قرر أننى فاتنة وبدأ يحاول التعرف بى ..

هو ليس منفرًا لكنى فى الحقيقة عجزت تمامًا عن رؤية أية هالة تخرج منه ..

هذا غريب ، لكنى تعودت على أن أناسًا كثيرين لا تخرج منهم الهالات فى كل الأوقات .. هناك الناس المرحون الصريحون وهؤلاء يبدون كالألعاب النارية .. هالاتهم لا تتوقف لحظة ..

إلا أن (عصام) لم يبعث أية هالة فى أى وقت ، وهـذا جعلنى أنفر منه .. ذات مرة كان جالسًا فى الحديقة مع فتاة أعرفها ، وكانا يتكلمان همسًا .. لم أسمع حرفًا فرحت أتابع هالة الفتاة .. كانت غاضبة لأن الهالة كانت حمراء جدًا .. هنا مد عصام يده وأمسك بيد الفتاة .. أمسكها برغم إرادتها ..

فى اللحظة التالية بدا أن الفتاة مرهقة فعلاً .. ترنح رأسها وأغمضت عينيها .. كل هذا معتاد ويمكن أن يمر مر الكرام ، لولا أن هالتها انطفأت .. فجأة لم تعد حولها هالة ..!

أصابنى هذا بالذعر ورحت أراقب المشهد .. رأيت الفتاة تمسك برأسها وتصمت .. نهض وابتاع لها بعض العصير فشربته وعندما عادت تتكلم كانت قد هدأت .. وبدأت هالة زرقاء تنبعث منها ..

رأيت موقفًا مماثلاً عندما احتكت سيارته - وهو يملك سيارة على فكرة - بسيارة أجرة عند باب الكلية .. كان سائق الأجرة سليط اللسان عالى الصوت وقد نزل من سيارته وراح يطلق السباب .. دفع (عصام) فى صدره مرتين هنا احتد (عصام) وأمسك بمعصم الرجل ..

رأيت الرجل يترنح ويتهاوى على ركبتيه .. لحظة ثم هز رأسه كأنما يفيق من كابوس مريع .. لا داعى لأن أقول إن هالته انطفأت للحظات ..

أخيرًا ركب الرجل سيارته وابتعد ، وعلى وجهه نظرة غبية كأنه كان فى الحمام عندما فتح أحدهم الباب عليه ..

أما القصة الأغرب فهى موضوع أستاذ الكلية الذى عاقب (عصام) على كلامه فى المحاضرة ، وعده بأنه سيرسب هذا العام فى مادته ..

بالنسبة للناس العاديين ، يعتبر هذا موقفًا معتادًا ، لكن (عصام) انتظر الأستاذ بعد المحاضرة ولحق به وراح يتكلم ، ثم مد يده يمسك بمعصم الرجل .. كان هذا خرقًا صارخًا لقواعد

حدود الجسد .. لا أحد يمسك بالأستاذ من معصمه . توقعت أن الأمور ستسوء ، لكنى رأيت الأستاذ يترنح ، ثم يستند على سيارة وجدها بجواره .. انطفأت هالته .. لما استعاد روعه تملص من عصام وابتعد كأنه يرى ثعبانًا ..

وجدته يقف أمام (كشك) فى شارع الكلية ويلتهم ثلاث قطع من الشيكولاته وزجاجتى عصير .. هذه سمة مهمة للذين يلمسون عصام .. إنهم يصيرون جوعى بتوحش ..

بعد هذا دخل الأستاذ المستشفى فى تلك الليلة .. كان مصابًا بإعياء غريب .. زرناه نحن تلاميذه فلاحظت أنه لا هالة حوله على الإطلاق .. فقط يخرج منه خيط أخضر أو خيطان من حين لآخر .. وعرفت أنها النهاية ..

بعد هذا بثلاثة أيام توفى إلى رحمة الله ..

لقد انتهى العام الدراسى وتخرجنا ، لكنى أعرف يقينًا أن (عصام) هذا ليس كائنًا بشريًا عاديًا .. ما رأيك ؟

رفعت :

قصة غريبة هى ، لكنى سمعت مثلها من قبل .. ما تتكلمين عنه هو مصاص دماء نفسى !

شريف :

هل هناك شىء كهذا ؟

رفعت :

نعم .. مصاص الدماء النفسى لا يمتص دمك ولكن يمتص حيويتك وطاقتك النفسية ، ويتركك مجوفًا خاويًا .. تشعر بالحيرة والضياع والجوع .. ومن الملاحظ طبعًا أن أعماله تمر بلا ملاحظة ولا إدانة ، والأهم أن الخبراء يؤكدون أنهم كثيرون من حولنا . لكن (رانية) بموهبتها رأته متلبسًا بالجريمة ..

شريف :

وما هو الحل ؟

رفعت :

لا يوجد حل .. لا يمكنك أن تذهب وتقتله وتقول لرجال الشرطة إنك قتلته لأنه مصاص دماء نفسى .. لا يوجد حل سوى تجنبه ..

شريف :

ومن أين جاء ؟

رفعت :

لا أحد يعرف .. على الأرجح هو يبيت ليلته فى المقابر كأى مصاص دماء يحترم نفسه .. لا يمكن أن تكون له أسرة ..

رانيــة :

هذه معلومات غريبة ، لكنى على كل حال لا أحتاج إلى نصيحة كى أتجنبه .. الغريب أنه تقدم لى مؤخرًا !

رفعت :

هذا عجيب ..

رانيــة :

نعم .. جاء بيتنا وطلب يدى .. أبى يفكر فى الأمر كما قال .. لكنى طلبت منه ألا يقابله ثانية ولا يصافحه بأى ثمن ..

رفعت :

جميل . جميل .. أعتقد أنك أحسنت صنعًا .. هل من شىء تضيفينه ؟

رانيــة :

لا .. شكرًا .. لقد أكسبت القصة معنى جديدًا .. سوف أفكر فى الأمر ..

(تضع السماعة)

شريف :

موضوع غريب ، لكن الحلقة قصيرة جدًا برغم هذا ..

رفعت :

لا يمكن أن تطالبها بأن تموت فى نهاية الحلقة كى تكون الأحداث مشبعة ..

(رنين الهاتف)

شريف :

آلو ..

صوت رجل :

برنامج بعد منتصف الليل ؟.. أنا (عصام) !.. (عصام) الذى كانت تلك الآنسة (رانية) تتكلم عنه .. لقد سمعت جلسة النميمة الممتعة هذه ..

رفعت :

إذن أنت مصاص الدماء النفسى إياه ؟

عصام :

ليس اسمى (عصام) طبعًا .. إن كلامك دقيق بالفعل .. لا يهم أن تعرف من أين جئت ولا متى كانت بدايتى .. فقط هى قد فضحتنى على مسامع الجميع .. دعك من رأيها السلبى فى شخصى ، وليكونن انتقامى مروعًا ما لم تسمح هى لى بتفسير موقفى !

(يضع السماعة)

رفعت :

هذا جميل .. إنه مجنون كذلك .. بينى وبينك من مصلحته أن يتخلص منها .. من يملك سرًا كهذا يهمه أن يتخلص ممن يملك موهبة كهذه ..

شريف :

وماذا تفعل ؟

رفعت :

تأخذ الحذر طبعًا .. لا يوجد الكثير مما يمكن عمله ..

(رنين الهاتف)

شريف :

هذه الحلقة ناجحة أكثر من اللازم .. آلو ..

رانية :

آلو .. هل سمعت يا د. رفعت ؟.. لقد عرف نفسه على الفور .. ماذا أفعل ؟.. أنا وحدى هنا فى البيت لأن الجميع سافروا ..

رفعت :

يا لك من حمقاء !.. لماذا لا تفتحين باب الشقة لتسهيل الأمور عليه ؟.. أشياء كهذه لا تعلن فى المذياع ..

رانية :

أنا أخاطبه عبر برنامجكم وأقول له : أنا أدعوك يا عصام . أدعوك لأن نجلس ونتفاهم وتفسر موقفك .. أنا أعتذر لك بشدة ..

رفعت :

أنت أغبى من عرفت ، وهذا يدل على أن الذكاء والقدرات الخارقة ليسوا مرتبطين ..

رانية :

د. رفعت .. هناك من يعبث فى باب الشقة .. هذا حقيقى .. أقسم بالله ..

رفعت :

ما هو عنوانك ؟.. سوف نبلغ الشرطة حالاً ..

رانية :

رقم 8 شارع الزهور .. الطابق السادس ..

رفعت :

جميل جدًا .. هناك عشرات المدن وفى كل مدينة عشرة من شارع الزهور هذا .. أنت دقيقة جدًا ..

رانية :

إن الباب ينفتح .. إنه يمشى فى الصالة ..

رفعت :

هذا لأنك دعوته يا حمقاء .. قلت له (أنا أدعوك) مرتين .. مصاص الدماء لا يهاجم إلا من يدعوه ، وقد وجد الباب مفتوحًا .. قولى لى .. من أين تتكلمين ؟

رانية :

من غرفة الصالون .. الهاتف هنا ..

رفعت :

هل توجد أمامك تلك (البونبونيرة) القبيحة التى تجدينها فى كل صالون مصرى ؟

رانية :

نعم ..

رفعت :

اجمعى فى قبضتك كل ما تجدين من بونبون وعندما يظهر انثريه على الأرض ..

شريف :

ما معنى هذا ؟

رفعت :

لو كان هذا مصاص دماء فعلاً ، فهم مصابون بوسواس قهرى يجعلهم يتوقفون ليجمعوا أى شىء على الأرض .. كانوا ينصحون من يمشون فى مناطق موبوءة بمصاصى الدماء أن يملئوا جيوبهم بحبيبات الفول .. عندما يظهر الوغد بعثر الفول على الأرض .. هذا يشغله مؤقتًا ..

رانية :

هذا هو !..

رفعت :

انثرى البونبون ثم اركضى نحو الباب ..!

(ضوضاء - صراخ) ..

رفعت :

رانية ..!.. ماذا حدث ؟

(صرخة مريعة ثم صمت) ..

رفعت :

رانية !

رانية :

أخيرًا .. لقد تم كل شىء ..!

رفعت :

ما الذى تم ؟

رانية :

عندما انحنى يجمع البونبون وثبت من خلف ظهره .. جريت إلى ورشة عمل أبى وأحضرت الإزميل الثقيل .. عدت إلى الصالون لأجد هذا الفتى منهمكًا فيما يجمعه .. هويت على ظهره بين لوحى الكتف بالإزميل !

رفعت :

يا حمقاء !.. هل جننت ؟

رانيـــة :

أنت قلت إنه مصاص دماء وأنا فعلت ما يجب عمله !

رفعت :

ما زال احتمال أنه مجنون أو أنك مجنونة قائمًا !.. قلت لك إنه من المستحيل أن نقتل شخصًا ونقول للشرطة إنه مصاص دماء نفسى !.. أنت مخبولة !.. أنا قلتها من قبل ..

رانيـــة :

أنا فعلت ذلك وأشعر براحة ..!.. أنظر لأناملى فأرى الهالة الزرقاء الهادئة .. لقد فعلت الشىء الصحيح .. هذا الرجل اقتحم البيت والباب موصد .. انشغل بجمع البونبون .. كل من لمسه مرض .. هل ما زال عندك شك ؟

رفعت :

نحن لا نقتل الناس لأسباب كهذه ..

رانيـــة :

لكن الناس تموت لأسباب كهذه .. والآن يا د. رفعت أنا مضطرة لتركك .. الجثة التى أغرقت الغرفة كلها بالدماء ..

الإزميل .. الباب المفتوح .. استدعاء الشرطة .. علىّ طن من الأعمال قبل أن يعود والداى من الخارج !.. شكرًا لك وشكرًا للبرنامج ..

(تضع السماعة)

رفعت :

لقد صار هذا البرنامج خطيرًا ..

شريف :

حتى لو كانت القصة صحيحة مائة بالمائة فكيف تقتنع بها أية محكمة ؟

رفعت :

على كل حال هناك محاولة اقتحام شقة على فتاة وحيدة .. هناك تهديد واضح سمعناه فى الهاتف .. كانت حالة دفاع عن النفس لا شك فيها وأعتقد أنها ستنجو بما فعلته .. المهم ألا يكون هذا الفتى مجرد برىء أحمق آخر ..

الخاتمة

هذه آخر مجموعة عندى من حلقات (بعد منتصف الليل) ، ولا أعتقد أننى سأجد المزيد لأننى لا أعيش فى قبو بل فى شقة يصعب أن تتوارى فيها أشياء كثيرة .. لقد استنقذت ثلاث عشرة حلقة بمعجزة ما ..

جولة هى بين عدة قصص تتراوح بين مصاصى الدماء وأحواض السمك التى تحوى أطرافًا مبتورة ، والذين يخرجون من تحت القبور ، وخزانات الثياب الوقحة ، والقطط الأهلاوية الثرثارة .. بعض القصص كان مقلبًا وبعضها كان حقيقيًا .. بعض القصص انتهى نهاية مفتوحة مما يروق لى ويستفزكم ، وبعضها انتهى نهاية موصدة .. بعض القصص ينتمى فعلاً لعالم ما وراء الطبيعة ، وبعضها ينتمى لعالم الواقع المفزع .. أرجو أن تكون هذه الحكايات قد راقت لكم وأن تكونوا قد وجدتم فيها بعض التسلية ..

كانت لى قصة مع شريف السعدنى ربما أحكيها لكم فيما بعد ، لكن لا علاقة لها بالبرنامج ..

هذه آخر مجموعة من (بعد منتصف الليل) وعلى الأرجح هى آخر حلقة رعب كذلك .. لقد أحببت حلقات الرعب كثيرًا لأنها

تخرق الجو الروتينى العام للأحداث ، لكن كل شىء يجب أن ينتهى يومًا ما ..

والآن أترككم لإجازة الصيف التى فات منها وقت لا بأس به .. لا أعرف الكثير عن نظم التعليم الحديثة هذه ، لكن ما سمعته هو أن أول دقيقة من العام الدراسى التالى تبدأ بعد انتهاء آخر امتحان فى العام الدراسى الحالى !

لا أعرف إن كان هذا سيجعل منكم عباقرة أم مجانين ، فأنا لست خبيرًا تربويًا .. أنا مجرد شيخ مسن يحكى قصصًا مخيفة ..

لنا لقاء ـ إن شاء الله ـ فى الكتيب القادم ، وأرجو أن يكون ممتعًا أو مسليًا أو على الأقل غير ممل .

إن (أسطورة الظلال) كما تعرفون هى قصة أخرى !..

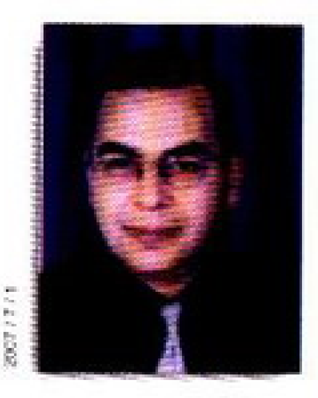
د. رفعت إسماعيل

القاهرة

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والإثارة



د. أحمد خالد توفيق

الحلقات المنسية

من جديد نحن فى الانتظار جوار الهاتف .. لو كنت تشعر بخوف غامض .. لو كنت تسمع من يتسلل فى الردهة الآن ، وعندك ألف يقين أنه ليس مجرد لص .. لو كانت خزانة الثياب تنظر لك فى حدة عندما تدير ظهرك .. لو كان جهاز التلفزيون يعرض أفلامًا لم ينتجها بشرى .. لو كانت ساقك تقوم بجولة وحدها فى المنزل ، فلا تتردد .. إننا ساهرون هنا ومعنا الدكتور (رفعت إسماعيل) .. سوف نحل مشكلتك فى دقائق ، وإن لم نستطع فلسوف تحرك صرخات استغاثتك خيال آلاف المستمعين الساهرين معنا الآن .. !

العدد القادم

أسطورة الظلال

الثمن فى مصر 400
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

